إقرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد أننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ(خطاب الاستكبار في القرآن الكريم، دراسة أسلوبيّة) التي قدمتها الطالبة (ريام عبد الحسن الشبلي)، وناقشناها في محتوياتها وفي ما له علاقة بها، وهي جديرة بالقبول بتقدير (امتياز) لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / ادب.

الامضاء:

الاسم: أ. د صباح عباس عنوز

رئيساً

التاريخ: ١٨ / ٩ /٢٠١٨

الامضاء:

الاسم: أ. م. د محمد عبد الحسن حسين

عضواً

التاريخ: ١٨/ ٩ /٢٠١٨

الامضاء:

الاسم: أ. م. د علي كاظم علي المدني

عضواً

التاريخ: ١٨/ ٩ /٢٠١٨

الامضاء:

الاسم: أ. د سرحان جفات سلمان

عضواً ومشرفاً

التاريخ: ١٨ / ٩ /٢٠١٨

مصادقة عمادة كلية التربية

الامضاء

أ. د خالد جواد عادلي

عميد كلية التربية / جامعة القادسية

التاريخ: ٢٠١٨ / ١٠ / ٢٤

إقرار المشرف

أشهد أنَّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (**خطاب الاستكبار في القرآن الكريم ، دراسة اسلوبية**)، قد جرى تحت إشرافي في كلية التربية / جامعة القادسية ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللّغة العربية وآدابها .

المشرف

أ.د سرحان جفّات سلمان

٢٠١٨/٧/٢٦

بناءً على التّوصيات المتوافرة ، أرشّح هذه الرّسالة للمناقشة .

أ . د عبد الله حبيب التميمي

رئيس قسم اللّغة العربيّة

٢٠١٨/ /

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة القادسيّة

كليّة التربيّة

خِطَابُ الاسْتِكْبَارِ في القُرآنِ الكَرِيْمِ

دِرَاسَةٌ اسْلُوبِيّةٌ

رسَالةٌ تقدّمَتْ بهَا:

ريَام عبد الحَسَن مجهُول الشّمِرِيّ

إلى مجلس كليّة التربيّة/ جامعَة القادسيّة

وهي من متطلبات نَيْل شهَادة الماجستير

في اللّغة العَربية وآدابها / أدب

إشْرَاف

الأستاذ الدكتور

سرحان جفّات سلمان

شوال ١٤٣٩هـ **حزيران ٢٠١٨م**

المقدمة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد:

فيمثل خِطَاب الاسْتِكبَار واحدا من نمطين كبيرين عُني بهما القرآن الكريم – وهو يستحضر قضية الإيمان والكفر– ، الأول: الْخِطَاب الرساليّ ممزوجا بخِطَاب الاستضعاف، والآخر: الْخِطَاب الكفري ممزوجا بخِطَاب الاسْتِكبَار، وما بين هذين النمطين حوار وجودي إذ يحاول كلّ منهما إنهاء وجود الآخر.

وقضية الاسْتِكبَار في القرآن الكريم **أثارت** كثيرا من الأسئلة التي تُعنى بالإجابة عن ماهية الاسْتِكبَار ودوافعه وأنماطه، وتجلياته الاسْلُوْبِيّة، وهي أسئلة حاولتْ هذه الرسالة أن تتصدى لدراستها– قرآنيا– والوصول من خلالها إلى فهم قرآني للصورة الاسْتِكبَارية التي رصدها القرآن الكريم، وكيف كان لقوى الاسْتِكبَار سُبُل ومناهج منظمة في مواجهة الْخِطَاب الرسالي ؟، وكيف عرض القرآن الكريم لهذه السبُل ولاسيما الاسْلُوْبِيّة منها، كاشفا عن أن خِطَاب الاسْتِكبَار يصدر عن منظومة متشابهة لدى المُسْتَكبِرين؛ بسبب تشابه المنظومة الفكرية والنفسية لديهم .

والقرآن الكريم بوصفه رسالة سماوية، تصدر عن مرسِل (المخاطِب) ويستقبلها متلقٍ (مرسَل إليه) (المخاطَب)؛ فهي تمثل خِطَابا يعدّ انموذجا للخِطَابات التي يتم

دراستها وتحليلها على وفق (نظرية الْخِطَاب) التي تعدّ إحدى أهم النظريات النقدية وأكثرها رواجاً وتداولا في الدرس النقديّ الحديث، إذ اعتنى النقاد بدراستها وتحليلها.

تأسيسا على ذلك؛ آثر البحث وضع يده على هذا النوع من الْخِطَابات القرآنية ؛ كونه لم يحظ بالدراسة والبحث – بحسب اطلاعنا –، إذ لم تتم دراسة الاسْتِكبَار في القران الكريم بوصفه (خِطَابا) ولم ينلْ عناية المختصين بالدّراسَات القرآنية؛ لذا افتقرت مكتبة اللغة العربية المختصة بالدّراسَات القرآنية للمراجع والمصادر ذات الصلة بخِطَاب الاسْتِكبَار؛ فجاءت هذه الدراسة سابقة للدراسات ذات الشأن بخِطَاب الاسْتِكبَار، باستثناء دراسة واحدة اختصت في جزء منها بدراسة الاسْتِكبَار دراسة (مصطلحية)، ولم تختص بدراسة خِطَاب الاسْتِكبَار وتجلياته الاسْلُوْبِيّة ، وهي أطروحة دكتوراه في الدّراسَات الإسلامية، من كلية الآداب بجامعة **(سيدي محمد بن عبد الله)** بالمملكة المغربية وحملت عنوان: **(مفهوم الاسْتِكبَار والاستضعاف في القرآن الكريم، دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي)** فهي بذلك تكون بعيدة عن دراستنا ومختلفة عنها، إذ اختصت بدراسة المصطلح القرآني التقابلي **(استكبار - استضعاف)** ضمن بابين، خُصِص الباب الأول للنظر في **مفهومي (الاسْتِكبَار والاستضعاف)** من زاوية الدراسة المصطلحية، وخُصص الباب الثاني لدراسة **(الاسْتِكبَار والاستضعاف)** من زاوية التفسير الموضوعي، فهي أطروحة اختصت بالاستعمال اللّفظي والموضوعي لمفهوم الاسْتِكبَار، فضلا عن كونها ضمن حقل **(الدّراسَات الإسلامية)** بخلاف موضوع هذه الرسالة الذي يختص بدراسة خِطَاب الاسْتِكبَار أسلوبيا .

وقد اتبعتُ في دراستي هذه المنهج الأسلوبي بوصفه يتضمن طريقة موضوعية يسلكها الباحث في تتبع ظاهرة ما، واستقصاء خباياها؛ من أجل وصفها وتحليلها، ولمعرفة حقيقتها وأبعادها؛ ليسهل التعرف على أسبابها وتفسير العلاقات التي تربط بين أجزائها ومراحلها وصلتها بغيرها من القضايا؛ والهدف من وراء ذلك هو الوصول إلى نتائج محددة يمكن تطبيقها والإفادة منها.

تأسيسا على ذلك؛ اقتضت الدراسة ترتيب منهجيتها بما يلائم الدرس الأسلوبي، فسارت منهجيتها باتجاهين، اعتنى الاتجاه الأول بدراسة الاسْتِكبَار بوصفه مصطلحا يمثل مفهوما قرآنيا؛ فتابعت الدراسة الخصائص الخارجية التي تحيط بالْخِطَاب، والتي تبين للمتلقي كيفية وروده، وأسلوب استعماله في القرآن الكريم، كما تكشف أثر السياقات الخارجية في إنتاج النمط الأسلوبي لخِطَاب الاسْتِكبَار؛ من خلال الإشارة إلى المصطلحات المجاورة له مع رصد الأثر الأسلوبي لها.

وأما الاتجاه الآخر الذي سارت على وفقه منهجية الدراسة؛ فهو اتجاه اعتنى بالتحليل الأسلوبي لخِطَاب الاسْتِكبَار، من خلال متابعة الخصائص الداخلية للخِطَاب، وتحليلها ضمن مستويات المنهج الأسلوبي التي تُعنى بدراسة شبكة العلاقات الداخلية المكونة للخِطَاب؛ فاصطنعت الدراسة مقاربة أسْلُوبِيّة على وفق ما ينسجم مع موضوع البحث ولم تلتزم منهجا أسلوبيا بعينه، استنادا إلى قناعة الباحثة بأنّ أي منهج نقدي– مهما كانت صرامة أدواته – فإنّه يبقى حوارا مع النّص، ويبقى مؤهلا للتفاعل مع النّص المدروس، تأثرا وتأثيرا.

واعتمادا على هذين الاتجاهين توزعت خطة البحث على تمهيد وأربعة فصول تسبقها مقدمة وتليها نتائج البحث ومصادره ومراجعه.

تضمن التمهيد مقاربة في مفهومات الدراسة **(الْخِطَاب، والاسْتِكبَار، والاسْلُوْبِيّة)**، اما الفصل الأول فجاء موسوما بـ: **(الاستكبار في القرآن الكريم: المصطلح والأنماط)**، حيث مثل هذا الفصل الاتجاه الأول في الدراسة التي تهتم بالخصائص الخارجية المحيطة بالْخِطَاب، والسياقات الخارجية المؤثرة في تكوين النمط الأسلوبي لخِطَاب الاسْتِكبَار؛ من خلال دراسة المصطلحات المجاورة له، والأنماط الاسْلُوْبِيّة التي تميز بها الْخِطَاب، فأُلف الفصل من مبحثين، تناول المبحث الأول وعنوانه : **(الاستكبارفي القرآن الكريم : المصطلح والمصطلح المجاور)** بالدراسة ، مصطلح الاسْتِكبَار والمصطلحات المجاورة له، وخصائص الاستعمال القرآني لكل مصطلح من هذه المصطلحات . أما المبحث الثاني الموسوم بـ **(أنماط الخطاب الاستكباري)** فتناول دراسة أنماط هذا الْخِطَاب، إذ تكون خِطَاب الاسْتِكبَار

من نمطين أساسيين: الأول تم تحديده بحسب معيار **(طريقة المشاركة)** في الْخِطَاب وهو: **(النمط المباشر وغير والمباشر)**، النمط الآخر من أنماط خِطَاب الاسْتِكبَار فهو: **(النمط الثنائي والجماعي)**، إذ تمّ تحديده بحسب معيار (نوع المشاركة) في الْخِطَاب.

وأما الفصل الثاني الموسوم بـ **(المستوى الأسلوبي الصوتي)** فكانت مهمته إضاءة هذا المستوى الأسلوبي من خلال مستويين(خارجي وداخلي)، فألف من مبحثين: المبحث الأول وُسِمَ بـ **(المستوى الصوتي الخارجي)** ، وتضمن : **(التكرار، والجِنَاس)** ، والمبحث الآخر، وسم بعنوان: **(المستوى الصوتي الداخلي)**، وتضمن : **(الفاصلة القرآنية، والتنغيم)** ، بعد ذلك جاء الفصل الثالث ، وعنوانه: **(المستوى الأسلوبي التركيبي)**، فعُني بالمستوى التركيبيّ لخطاب الاستكبار، من خلال مبحثين : عُني أحدهما، وعنوانه: **(الأساليب التركيبية)**، بدراسة هذا الضّرب من الأساليب واشتغالها في خطاب الاستكبار في القرآن الكريم، وأما المبحث الآخر، وعنوانه : **(الانزياح التركيبي)** فقد عني بدراسة الانزياحات الحاصلة في النّص القرآني، وأثر هذه الانزياحات في إثراء الممكنات التعبيرية عن قضية الاستكبار كما رصدها القرآن الكريم .

واختتمتْ الفصول بالفصل الرابع الموسوم ب **(المستوى الأسلوبي الدلالي)** الذي عُني بدراسة المستوى الدلالي لخِطَاب الاسْتِكبَار ،متضمنا مبحثين دلاليين: المبحث الأول وسِم بـ **(الْخِطَاب الحِجَاجي)** وكانت غايته رصد الأبعاد الدلالية التي تنتجها الأسلوبية الحِجَاجية، وأثر هذه الأسلوبية الحِجَاجية في التعبير عن قضية الاستكبار، بوصف الحِجَاج أداة أسلوبية من ادوات خطاب الاستكبار، والخطاب المواجه له، أما المبحث الثاني الموسوم بـ **(الْخِطَاب القصصي)** فكانت مهمته دراسة خطاب المستكبرين كما قدم في القرآن الكريم بوصفه قصصا حاملا لتجارب المستكبرين والمستضعفين، وما دار بينهم من حوارات محتدمة على مستوى الأسلوب والفكر والوجود .

ثم تلا ذلك إيراد أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وهي تمثل قلا معرفيا أردنا به وجه المعرفة ويمكن لها ان تفتح آفاقا رحبة لدراسات وأفكار ورؤى جديدة.

ولست أزعم أن هذا البحث قد أحاط بكل ما يتصل بالدراسة الاسْلُوْبِيّة لخِطَاب الاسْتِكبَار في جانبيها التنظيري والتطبيقي؛ لسعة القول في هذين الجانبين وشموله، فضلا عن أنّ منهج البحث، وخطة الدراسة قد حددتا البحث، فهو يبحث في ضوئهما، ولكنّي أزعم بأنّي لم أدّخر وسعا، ولم آلُ جهدا في الوصول إلى الحقيقة العلمية ؛ لأنّي اجتهدتُ في أن يكون عملي زُلفى إلى الله تعالى، فإن أصاب توفيقا فمرده إلى توفيق الله تعالى، وإلى رعاية الأستاذ الدكتور (سرحان جفات سلمان)، الذي تفضلّ عليّ بالإشراف على هذا البحث، فلم يبخل على تلميذته بتوجيهاته النيّرة ونصائحه الرشيدة، وتحمل منها الكثير، فأدعو الله تعالى أن لا يحرمه أجر هذا الجهد العلمي، فله الشكر الجزيل وخالص التقدير، وجزاه الله عنّي أوفى الجزاء، وأفضل العطاء، وحفظه الله ذخرا وملاذا للعلم والعلماء وبارك في عمره، كما لا يفوتني ان أشكر كل من أعانني بقليل او كثير في إنجاز هذا البحث.

والله ولي التوفيق

الفصل الأول

الاستكبار في القرآن الكريم

المصطلح والأنماط

المبحث الأول: المصطلح والمصطلح المجاور

المبحث الثاني: أنماط الخِطاب

المبحث الثاني

أنماط الْخِطَاب

يدلّ الأصلُ اللّغوي للفظة **نمط** على (الطريقة)، إذ جاء في **لسان العرب:**((**وَالنَّمَطُ:** ضَرْبٌ مِنَ البُسُط، وَالْجَمْعُ أَنماط مِثْلُ سبَب وأَسْباب؛ قَالَ ابْنُ بَرّيٍّ: يُقَالُ لَهُ نَمَطٌ وأَنماط ونِماط ويقول أبو عُبَيْدَةَ: النمطُ هُوَ الطَّرِيقَةُ. يُقَالُ: الزَم هذا النَّمَط أَي هذا الطريق. والنمَطُ أَيضاً: الضربُ مِنَ الضُّروب والنوعُ مِنَ الأَنواع. يُقَالُ: لَيْسَ هَذَا مِنْ ذَلِكَ النمَط أَي مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ وَالضَّرْبِ، وَالنَّمَطُ: ضَرْبٌ مِنَ البُسُط، وَالْجَمْعُ أَنماط مِثْلُ سبَب وأَسْباب)) [1].

يُفهم من ذلك ان النمط هو أسلوب وطريقة أو طراز أو نوع يُتّبع وينسج على منواله، وبهذا المعنى ينسحب مفهوم النمط إلى كل ما يمكن أنْ ينتظم على وفق طريقة معينة، ومنها: الْخِطَاب.

فكل خِطَاب يتعددُ ويتنوعُ بتنوعِ محيط الخطاب والدوافع والغايات الباعثة على إنتاجه، إذ تحيط به سياقات مقامية ترجعُ في أصلها إلى الظروف الاجتماعية والنفسية المحيطة بالمخاطِب والْخِطَاب والمخاطَب، والتي على وفقها تكون صيغة الْخِطَاب الأسلوبية .

فالْخِطَاب ((**ليس مجرد سلسلة لفظية (عبارة أو مجموعة من العبارات) تحكمها قوانين الاتساق الداخلي (الصَّوتِيّة و التركيبيّة و الدلاليّة)، بل كل أنتاج لغوي يُريَطُ فيه ربطٌ تبعيةٍ بين بنيته الدّاخليّة وظروفه المقاميّة (بالمعنى الواسع))** [2]، وهذا يقصد به أن الْخِطَاب له علاقة بوظيفته التي هي **(التواصل)** فهناك تعالق بين بنية الْخِطَاب ووظيفته **(التواصلية)** والظروف المقامية، تسمى هذه العلاقة ربط التبعية، وعلى وفق ذلك فإن الْخِطَاب لا يمكن حده بجملة أو مجموعة من الجمل ،أي بمعنى (لا حجم

---

[1] لسان العرب: ٤١٧/٧.

[2] قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النص) : ١٥

له) فهو كل تعبير لغوي أيا كان حجمه نتج في مقام معين لغاية معينة (**غرض تواصلي)** [٣] .

إذن، مكونات الْخِطَاب – هذا المصطلح الذي وضعه مانغونو– كوسينة (١٩٥٥) لِوَسمِ الخطابات التي تؤدي دورا (مؤسسا) ، وتزخر بمستويات مختلفة من الإنتاجات الخطابية ، وتتقاسم عددا من الخصائص من حيث ظروف بروزها واستعمالها التلفظي – تتضمن أمرين: الأول **(الطبقة التواصلية)** والآخر **(الظروف المقامية)** التي تتظافر لتكوين الْخِطَاب، ويمكن أن نصطلح عليها بـ **(ظروف الانتاج)** إذ انبثق هذا المصطلح عن علم النفس الاجتماعي في إطار تحليل الخطاب لدى **بيشو** للدلالة لا على المحيط المادي والمؤسساتي للخطاب فحسب ، بل كذلك للدلالة على التصورات المتخيلة التي تتهيأ للمتفاعلين حول هوياتهم (**face**) ، وكذا عن مرجع خطابهم (عن أي شيء أحدثه هكذا؟ / عن أي شيء يحدثني هكذا؟) ويستعمل هذا المصطلح – بمعزل عن اشكاليته – بديلا للسياق [٤]، وعلى ذلك فمستعملو اللغة الطبيعية لا يتواصلون عن طريق جمل منعزلة بل إنّهم يكوّنون من هذه الجمل قطعا أكبر وأعقد يمكن أنْ يطلق عليها اللّفظ العام للخِطَاب[٥].

والظروف المقامية المُشار إليها سيعتني بها البحث هنا بوصفها تمثل ركنا مهما من عملية التواصل (الْخِطَاب)، إذ يشارك في أي عملية تواصل مشاركان: متكلم ومخاطب، تتم بينهما العملية بالمشافهة أو المكاتبة. **إذ يَقْصِدُ المتكلمُ تمريرَ غرضا تواصليا، يصوغُهُ جزئيا (ضمن فحوى الْخِطَاب)، هذه الصياغة تختلف من مخاطِب لآخر بحسب ((** درجة صراحتها التي يحددها مخزون المتكلم المعلوماتي حين التواصل، وما يفترضه المتكلم عن مخزون المخاطب المعلوماتي)) [٦].

---

[٣] ظ : قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النص) : ١٦.

[٤] ظ : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب : ٢٥-٢٦.

[٥] ظ : قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: ١٦– ١٧.

[٦] م . ن : ١٩.

وهذا المعيار يتم وفقه تحديد الظروف المقامية للخِطَاب فيكون الْخِطَاب صريحا أو مضمرا على وفق ما يتحدد من مخزون المخاطب.

هذه الظروف المقامية (ظروف الانتاج) للخِطَاب تتنوع وتتعدد وتكون على أصناف منها [٧]:

١) **المعارف العامة : والمقصود بها ما يتعلق بمدركات المخاطِب.**

٢) **معارف مقامية : مشتقة من عناصر المقام الذي تتمَ فيه عملية التواصل.**

٣) **معارف سياقية : يوفرها للمتخاطبين ما تمَ إيراده في قطعة خِطَابية سابقة.**

هذه الظروف تنتج أنماطا مختلفة للخِطَاب تتصل بمعايير خاصة بكل مقام يحيط بالْخِطَاب. وهي تحيل على تكوين أنماط مختلفة ، تُمثل خصائص خارجية للخِطَاب تحيط بخصائصه الداخلية (قوانين الاتساق الداخلي: الصرفية، التركيبية، الدلالية).

وخِطَاب الاسْتِكبَار بوصفه خِطَابا يشترك في عملية تكوينه : المتكلم، المخاطب (المُسْتَكبِر، المُسْتَكبِر عليه)، يتمّ من خلاله تمرير غرضا تواصليا (إبلاغيا) معين (رسالة)، فهو خِطَاب تحيط به ظروف مقامية أدّت إلى تكوين أنماط لخِطَاب الاسْتِكبَار، يمكن الكشف عنها من خلال معايير الْخِطَاب العامة والمقصود بها (**غرض الْخِطَاب**)، (**نوع الْخِطَاب**)، (**طريقة توصيل الْخِطَاب**).

وهذه الأنماط تتباين من حيث المضمون ومن حيث الشكل لكنّها على تباينها مضمونا وشكلا آيلة إلى بنية خِطَابية ثوابتها واحدة في التّداول والتركيب [٨].

وأهمية تنميطُ الْخِطَابِ تكمنُ في أنّ النّمط الْخِطَابي يُحدّدُ خصائص الْخِطَاب الداخلية (**المستويات الأسلوبية**) إذ يكون لكل نمط خِطَابي أسلوبه وبنيته [٩]. ومن ثمّ فإن ((الأسلوب يخضَعُ للنمط الْخِطَابي الذي يُناسبه)) [١٠].

---

[٧] م. ن: ٢٠.

[٨] الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة الوظيفة والبنية والنمط: ١٨١.

[٩] م. ن: ٢٣.

[١٠] م. ن: ٢٤.

وقد وضع الباحثون في الدّرس الْخِطَابي تصنيفات عدّة لأنماطِ الْخِطَابِ، لكنّنا سنقصر الأنماط على ما ينسجم مع طبيعة خِطَاب الاسْتِكبَار، بوصفه خطابا تواصليا إبلاغيا ، يعتمد على المواجهة بين المتخاطبين، فضلا عما يحمله من رسالة (صريحة أو ضمنية) تكتنف بنيته السياقية والظروف المقامية التي التي يرد فيها .

أولا: النمط المباشر وغير المباشر:

المعيار في تحديد هذا النمط هو: **(طرفا المشاركة)** في الْخِطَاب ، ويقصد بهما (المتخاطبَين المتواجهَين اثناء عملية التخاطب).

في هذا الإطار يذكر **صلاح فضل** أنّ الْخِطَاب ينقسم على نوعين كبيرين: **خِطَاب مباشر وآخر غير مباشر،** ويبين أنّ التداوليين يعدّون إدخال كلمات القائل في صيغ الْخِطَاب بشكل **مباشر** هو أقصى درجة من الموضوعية، بقدر ما يلتزم عموما بالنقل الحرفي دون تحريف، حتى أن بعضهم يعتقد أنه يمكن أن يصل الْخِطَاب الذي يستعمل هذه الطريقة إلى نسبة ١٠٠% لكن مع ملاحظة أنّ هذه الموضوعية في حقيقة الأمر لا تتوقف على درجة مطابقة الْخِطَاب المذكور للأصل فحسب، بل تتوقف أيضا على ما إذا كان يوجد تدخل في المعنى أم لا، وهذا التدخل يمكن أن يحدث حتى في تلك الحالات لتي لا يتم فيها تغير الكلمات ، وهذا غالبا ما يحدث في الواقع اليومي عندما نقتطع الكلمات من سياقها اللغوي وغير اللغوي الذي قيلت فيه لندخلها في علاقة حوارية جديدة بكلمات محيطة أخرى سرعان ما تضفي عليها دلالة جديدة مغايرة .[١١].

يتضح من ذلك أن هذا النمط على نوعين:

---

[١١] ظ: بلاغة الخطاب وعلم النص: ٩١

أحـدهما مبـاشر: يُعنى بإدخال كلمات القائل في صيغة الْخِطَاب بشكل مباشر، وتقاس موضوعيته بمدى التزامه بالنقل الحرفي بدون تحريف، وهذا المفهوم قد يصعب تحقيقه في كثير من الاحيان حتى لو التزم الناقل بنص كلمات القائل بدون تغيير، فهناك عوامل أخرى أدائية ومكانية وزمانية وحالية تؤثر في نقل الْخِطَاب.

والآخر غير المباشر: وهو يتولد عند نقل خِطَاب الآخر؛ مما يتطلب تحويل أزمنته الفعلية، وتعديل ضمائره وإشاراتها كما تتسق في اتجاهاتها وإحالاتها، الأمر الذي يجعله مختلفا عن الْخِطَاب المباشر.

وفي الحالة الاولى –**الْخِطَـاب المبـاشر** – يكون الاتصال مباشرا من نقل فقط، والمرسل إلى المرسل إليه والناقل أو القائل لا يتدخل في السياق، بل يقوم بدور النقل فقط، وإن دقة النقل مهما تكن؛ لن تكن منضبطة انضباطا دقيقا تاما، لكن الناقل يكون ملتزما إلى حد كبير بنقل النص أو الْخِطَاب للقارئ نقلا أمينا فيما يملكه من لوازم انضباطية.

وفي الحالة الثانية _ أي **الْخِطَاب غير المباشر** _ يكون الاتصال غير المباشر، أو ما نطلق عليه في بعض الأحيان بالاتصال المنحرف، وهو اتصال يتدخل فيه الناقل أو القائل بوجهة نظره، قد تكون متوافقة أو متباينة مع النص الأصلي، لكن هذا الاتصال يخضع للإضافات التي يضيفها الناقل للنص، وهذه الإضافات قد لا تمثل بالضرورة وجهة نظر المرسل الأصلي [١٢].

وخِطَاب الاسْتِكبَار بوصفه نمطا خِطَابيا ، توافر على هذين النوعين من الْخِطَاب : المباشر وغير المباشر وسنشير إليهما بحسب الآيات المتضمنة لهما مع توضيح مبتسر لكيفية انتاج هذه النمط ، مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ الغاية هنا فقط تصنيف الخطاب لا تحليله ؛ لأن التحليل ستعتني به **مستويات الاسلوبية** التي سترد لاحقة لهذا الفصل .

- **النمط الخطابي المباشر:**

سبقت الإشارة إلى عناية النمط المباشر بإيراد كلمات القائل في صيغة الْخِطَاب بشكل مباشر ، وهذا النمط متحققا بآلياته في خطاب الاستكبار، وستكشف آيات الخطاب

---

[١٢] ظ: النظرية النقدية: نظرية الاتصال الأدبي وتحليل الخطاب: ٩٦.

المباشر طريقة تحققه بالاستعانة بما قاله المفسرون في هذه الآيات ، ومن آيات الْخِطَاب ذات النمط المباشر ما جاء في قوله تعالى:

(١)﴿قَالُواْ يَاشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ **[هود:٩١]**

(٢)﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾**[الكهف:٣٤]**

في سورة هود يُلحظ أن الخطاب محكي عن لسانهم من خلال السياق الحالي، واللّغوي للخطاب، فيتضح أنّه كان خطابا مباشرا ، من قوم شعيب إلى نبيّهم، فهو جاء في سياق محاورته لهم ، من خلال عبارة (مما تقول) فهذه العبارة تبين أن الخطاب آني، حصل في الوقت الذي كان شعيب يخاطبهم ويدعوهم إلى عبادة الله تعالى بدلالة استعمال الفعل المضارع **(تقول)** فهو يدلّ على الحاضر وأنّ الفعل مستمر الحدوث وهذا بطبيعة الحال يحيل على المباشرة في الخطاب **(مواجهة المتخاطبين أثناء التخاطب)**.

أما الآية الاخرى فأيضا جاء فيها الخطاب مباشرا، بدلالة سياق الآية الذي يّشير إلى المحاورة التي تمّت بين الأخوين:﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾**[الكهف:٣٤]** ، وفيها يقول الزمخشري:((يحاوره: يراجعه الكلام، من حار يحور إذا رجع)) [١٣]، ومن المعروف أنّ مراجعة الكلام تستلزم المباشرة ، وهذه المباشرة تحيل على المباشرة في الخطاب المقصودة هنا ، فضلا عن استعمال ضمير المخاطب (الكاف) في قوله ﴿مِنكَ﴾ فاستعمل ضمير المخاطب الحاضر وليس الغائب فلم يقل **(منه)**، وباعتماد هذه القرائن يمكن عدّ الخطاب الوارد في الآية المباركة من النمط المباشر .

ومنه ما جاء في قوله تعالى :

١. ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾**[الأعراف:١٢]**

٢. ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾**[القصص:٣٨]**

٣. ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[**الشعراء:١٨]**

---

[١٣] الكشاف: ٤/ ١٢.

٤. ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُون﴾**[البقرة:٥٥]**

- **النمط الخطابي غير المباشر:**

يرد الخطاب في بعض انامطه بطريقة غير مباشرة وهذا النوع يميزه محللو الخطاب من خلال طريقة الاستنباط، والمقصود بها أن يتعلق الخطاب أساسا بجملة مستنبطة من جملة أخرى بواسطة قاعدة واعية ويراد بها عادة الجمل الضمنية التي يمكن للمتلفظ استنباطها من ملفوظ ما باعتماده هذا الملفوظ أو على معلومات مستقاة من سياق التلفظ ، في هذه الحالة ، يطابق الاستنباط الضمنيات الدلالية التي تتوقف على سياق تلفظ بعينه[١٤] ، وبمقاربة هذا النمط مع خطاب الاستكبار في القرآن الكريم وجد البحث أنه يكون نمطا خاصا به غير مباشر يعتمد على النوع الآخر وهو النمط غير المباشر والذي يعتمد على (طرفي المباشرة) معيارا في تحديده ، ومن آياته – على سبيل المثال لا الحصر – :

١. ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِين﴾ **[القصص:٣٨]**

٢. ﴿وَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾**الزخرف٣٠**

٣. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُون﴾**[فصلت:٢٦]**

٤. ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِين﴾ **[سبأ:٤٣]**

يُلحظ في الآية الاولى أنّ خطاب فرعون لم يكن خطابا مباشرا للمستكبَر عليه الذي هو النبي موسى (عليه السلام) : بل انّ ((كَلَامُ فِرْعَوْنَ الْمَحْكِيُّ هُنَا وَاقِعٌ فِي مَقَامٍ غَيْرِ مُقَامِ الْمُحَاوَرَةِ مَعَ مُوسَى فَهُوَ كَلَام أقبل بِهِ على خطاب أهل مَجْلِسه إِثْر المحاورة مَعَ مُوسَى فَلِذَلِكَ حُكِيَ بِحَرْفِ الْعَطْفِ عَطْفَ الْقِصَّةِ عَلَى الْقِصَّةِ. فَهَذِهِ قِصَّةُ مُحَاوَرَةٍ بَيْنَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فِي شَأْنِ دَعْوَةِ مُوسَى فَهِيَ حَقِيقَةٌ بِحَرْفِ الْعَطْفِ كَمَا لَا يَخْفَى)) [١٥].

---

[١٤] ظ : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب : ٧٣.

(١٥) التحرير والتنوير : ٢٠/ ١٢١.

ويظهر من قول المفسر أن الخطاب لم يتم بطريقة مباشرة بين فرعون **المستكبِر**، وموسى (عليه السلام)، **المستكبرَ عليه**، بل جاء خطاب الاستكبار الصادر من فرعون في غير مقام المحاورة مع موسى، بل في محاورة أبناء قومه لينفي الإله الذي يدعوهم موسى لعبادته ، فالخطاب هنا غير مباشر بلحاظ **(المستكبر عليه)** وهو موسى ﷺ .

هذه الآيات وردت في سياق يشير على عدم المباشرة في الخطاب، فلم يكن المتخاطبين متواجهين اثناء التخاطب، بل يُلحظ أن المخاطِب **(المستكبِر)** يطلق خطابه باتجاه مخاطَب غير حاضر لحظة الخطاب ، أو أنّه حاضر لكن الخطاب لم يتم بالمواجهة بين المتخاطبين، وهذا يرد كثيرا في خطاب المستكبرين، ففعل الاستكبار حاصل وحادث في أنفسهم حتى بغياب **المستكبرَ عليه**، أو لم يكن الخطاب مرسَلا لمخاطب بعينه بل هو خطاب لا على التعيين لكنه خطاب استكبار، فمثلا في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُون﴾**[فصلت:٢٦]** ، يُلحظ أنّ سياق الآية يدل على استكبارهم ورفضهم لرسالة القرآن فضلا عن تحريض الآخرين ونهيهم عن الاستماع للقرآن والايمان به، فهو خطاب استكباري رغم أن المخاطَب هنا ليس المستكبَر عليه، بل الخطاب تمّ فيما بينهم .

وكذلك في سورة **(سبأ :٤٣)**، يُلحظ أن الخطاب موجه إلى أبناء قومهم يحذرونهم من تصديق النبيّ والإيمان به، ويقللون من شأنه ويحقرونه من خلال استعمال صيغة التنكير (رجل) فالخطاب لم يكن موجها إلى شخص النبي (المُستكبَر عليه) ،وهذا يحيل إلى نمط الخطاب **غير المباشر**، إلا أنه خطاب غاية في الاستكبار رغم غياب المستكبَر عليه عن عملية الخطاب لحظة صدوره.

ثانياً: النّمَط الثنائي والجماعي:

تُشِير الدّراسَات في المجال اللّسانِيّ إلى أنّ الْخِطَابَ يمكن أن يكون من حيث نوع المشاركة: **(ثنائيا أو جماعيا)** أو مجردا **(مونولوج) (أي خِطَاب لا يوجهه المتكلم لغير**

نفسه) . وقد يرد الصنف الثالث إلى الصنف الأول بوصفه حوارا ، إلا أنه منعكس، فهو حوار قائم بنفس الذات [١٦].

والمعيار في تحديد هذا النمط هو **نوع المشاركة** في الْخِطَاب، ويُقصَد بها (أن يكون الحوار ثنائيا أو جماعيا) . ومصطلح **إطار المشاركة** ترجمة لمفهوم **(framework participation)** الذي وضعه **كوفمان** ، ويعني : أن المشاركين في التفاعل/ التخاطب يمكنهم أن يكونوا أكثر من اثنين، كما أنّ دورهم يمكنه أن يتغير ، ويميز **كوفمان** بين المشاركين المؤهلين الذين هم منخرطون مباشرة في التفاعل / التخاطب ، والشواهد الذين يسمعون ولكنهم خارج التخاطب ، وضمن هؤلاء الأخيرين، يوجد من هم معترف بهم بوصفهم كذلك من قبل المتكلم ، في حين أن آخرين يستمعون على غفلة منه، في الغالب الأعم ، يوفر المتكلم للمشاركين المؤهلين أمارات تدل على أنّه يتوجه إليهم [١٧].

والجدير بالذكر أنّ التفاعل يُقصد به هنا التفاعل اللّغوي بين متشاركين او متفاعلين ، والذي يتم اعتمادا على عدد من الشروط التي لابد من توافر أحدها كحدا أدنى ليتحقق حصوله ، كالمعايير المشتركة بين المتخاطبين، والانخراط في التبادل ، والاضطلاع بالمشاركة بإنتاج دلائل تسمح باستمراره ، وهذا المفهوم (التفاعل) حتى وإن كان مجعولاً للتبادلات الحقيقية بين المتخاطبين ، فإنه ينطبق على البعد التفاعل لكل تلفظ،حتى وإن كان مكتوبا، بناء على المسلمة القائلة- وهي لـ (باختين)- بـ (أن التفاعل اللغوي يشكل الواقع الأساسي للغة) [١٨] .

وقد توافر خِطَاب الاسْتِكبَار على هذا النمط من الْخِطَاب، كشفَتْ عنه مقاصد الْخِطَاب الواردة في الآيات الكريمة، من خلال ملامح السياق العامة للخِطَاب، التي يكشفُ عنها منهجُ تحليل الْخِطَاب، كالمعاني الضمنية والسّياق النّصي، والسّياق

---

[١٦] ظ: الخطاب وخصائص اللغة العربية ، دراسة الوظيفة والبنية والنمط: ٢١.

[١٧] ظ : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب : ١٤.

[١٨] م . ن : ٧٤.

الموسَّع، والإحالة في النص والْخِطَاب– الداخلية والخارجية –، إضافة إلى الافتراض – المقاصديّ–، وغيرها من أدوات التحليل الْخِطَابي[١٩].

فالقصد في الْخِطَاب يتضمن موقف منشئ الْخِطَاب من كون صورة ما من صور اللغة قُصِدَ بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام، وإن هذا النص وسيلة من وسائل مناسبة خطة معينة للوصول إلى غاية معينة [٢٠]. لا سيما أن هذا النمط يتم من خلال التفاعل الدّال على وحدة التحليل الكبرى للخطاب ، أي مجموع التبادلات المنجزة من قبل المشاركين في سياق ما ، والتي يصطلح عليها كوفمان ب (القاء) والتي يؤطرها الإطار الزمكاني ، وتتطلب وجود زمرة من المشاركين (المتخاطبين) يتحدثون عن موضوع ، وهذا المصطلح (اللقاء) يؤثره **فيون** من حيث هو (مجموع ما ينتج بين فردين أو أكثر ، بدءاً من لحظة لقائهما إلى غاية افتراقهما) [٢١]

وتجلى ذلك القصد الاسْتِكبَاريّ في خِطَابات عديدة أنتجها عدّة مخاطِبين (مرسِل)، وباستقرائنا للنصوص التي ورد فيها خِطَاب الاسْتِكبَار نقف على ثلاثة أنواع من الْخِطَابات رصدتها الدّراسة:

المستوى الاول: الْخِطَاب الصادر عن الشيطان.

المستوى الثاني: الْخِطَاب الصادر عن الإنسان (الفرد).

المستوى الثالث: الْخِطَاب الصادر عن الإنسان (الجماعة ، الأقوام).

هذه الأنواع الثلاثة أسهمت في تكوين النمط **الثنائي والجماعي** في الْخِطَاب. وذلك بلحاظ طرفي الْخِطَاب (المخاطِب والمخاطَب) فضلا عن المقامات السياقية

---

[١٩] ظ: تحليل الخطاب: ٣٥-٦٢.

[٢٠] تحليل الخطاب (دراسة معجمية): ١٠١.

[٢١] المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب : ٧٥ .

المحيطة بهما التي تتظافر فتنتج هذا النمط في خِطَاب الاسْتِكبَار الذي زخرتْ به آيات الْخِطَاب . وسيضع البحث يده على هذا النمط بنوعيه الثنائي والجماعي.

- **النمط الخطابي الثنائي:**

يزخر خطاب الاستكبار في القرآن الكريم بالخطابات الثنائية التي تتمثل بطرفي المخاطبة (مستكبر ومستكبر عليه)، فيجمعهما حوار ثنائي يقتضي وجود مخاطِب مفرد ومخاطَب مفرد، ونحدد هذا النمط في الْخِطَاب بالنظر إلى أحد طرفي الْخِطَاب فيكون كالآتي :

النموذج الأول: بلحاظ طرفي الْخِطَاب:

- المخاطَب مفرد، المخاطِب مفرد = خِطَاب ثنائي .

النموذج الثاني: بلحاظ المرسِل :

- المخاطِب (مفرد) ، المخاطَب (اثنان) = خِطَاب ثنائي .

ومن الآيات الواردة على ضوء هذا النمط:

النموذج الأول:

وتجلى هذا النمط في خِطَابات إبليس (المرسل)، والذات الإلهية المرسَل إليه، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾**[الأعراف:١٢]**، فالْخِطَاب هنا من النمط الثنائي بلحاظ مرسِل الْخِطَاب (إبليس) الذي يمثل المستوى الاول: الْخِطَاب الصادر عن الشيطان .

(١)﴿قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ **[الحجر:٣٢]**

(٢)﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ **[الحجر:٣٣]**

(٣)﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ **[الإسراء:٦١].**

(٤)وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ **[الكهف:٣٤]**

فالْخِطَاب في هذه الآيات ثنائي بلحاظ طرفي الْخِطَاب (المخاطَب والمخاطِب) فكليهما جاء مفردا

۞ **النموذج الثاني:**

المخاطِب (مفرد)، المخاطَب (اثنان) = خِطَاب ثنائي

ومنه ماجاء في الآية المباركة: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَامُوسَى﴾ **[طه:٤٩]**

هذا النمط من الْخِطَاب يعدّ ثنائيا لكن بلحاظ متلقي الْخِطَاب (المُرسَل إليه) المتمثل بموسى وأخيه بقرينة الآية السابقة: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾**[طه:٤٢]** ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾**[طه:٤٣]**

- **النمط الْخِطَابي الجماعي:**

من الأنماط التي جاء على وفقها خِطَاب الاسْتِكبَار **نمط الْخِطَـاب الجماعـي** أو ما يسمى **(الجماعة الخطابية)** ويقصد بها : الزمر الاجتماعية التي تنتج وتسيّر نوعا معينا من الخطابات[٢٢]، وقد شكل هذا النمط أسلوبا مهيمنا في خِطَابات المستكبرين، تجلى في المستوى الثاني والثالث من مستويات المستكبرين في القرآن الكريم: مثل: الأقوام المستكبرة، قوم عاد وثمود ونوح .. الخ ، وقد توافر هذا الخطاب في القرآن الكريم ، ويمكن تتبعه من خلال ثلاثة نماذج، بلحاظ :المخاطَب، والمخاطِب :

١) المخاطِبين (جماعة) والمخاطَب (مفرد) .

٢) المخاطَبين (جماعة) والمخاطِب (مفرد) .

٣) طرفا الخطاب (جماعة) .

ومن آيات الخطاب التي مثلت النموذج الاول :

١. ﴿قَالُواْ يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِين﴾[**هود:٥٣]**
٢. ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلاَلٍ وَسُعُر﴾[**القمر:٢٤]**
٣. ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾[**المائدة:٦٤]**
٤. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾[**الفرقان:٤]**
٥. ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُون﴾[**البقرة:٥٥]**

أما النموذج الثاني فآياته جاءت كالتالي :

---

[٢٢] المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب : ٢١.

١. ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ **[الأعراف: ١٢٣]**

٢. ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾**[الأعراف: ١٢٤]**

٣. ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾**[النازعات:٢٤]**

٤. ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُون﴾ **[الزخرف:٥١]**

والنموذج الأخير تمثلت آياته في قوله تعالى :

١. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[الأحقاف:١١]

٢. ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاء الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُون﴾**[المؤمنون:٣٣]**

٣. ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ٧٥ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ **[الأعراف: ٧٥-٧٦]**

٤. ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُون﴾**[الأعراف:٩٠]**

٥. ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾[**مريم:٧٣**].

وسيأتي تحليل الآيات في مواطن التحليل الأسلوبي، فالمقام هنا يختص بالحديث عن الأنماط .

الفصل الثاني

المستوى الأُسلوبي الصّوتي

المبحث الأوّل: المستويات الدّاخلية

المبحث الثاني: المستويات الخارجية

المبحث الأوّل

المستويات الدّاخلية

أولا : التّكرار :

يُعَدُّ التّكرار خصيصة أسْلُوبِيّة ذات أداء وظيفي تفاعلي؛ لما يمنحه من قيمة أدائية وتعبيرية في معاودة الأصوات في الْخِطَاب القرآني، وقد أولاه العلماء العرب[٢٣] القدماء عناية كبيرة لما يحمله من رسالة دلالية يؤديها من خلال التراكم الكمّي للكلمة أو الجملة أو الحرف .

والتكرار مؤشر أُسلوبي يدل على أن هناك معاني بحاجة إلى الإشباع والتقوية، إذْ يرى **جوستاف لوبون** أن من ((**يكرر لفظاً أو فكرة أو صيغة تكراراً متتابعاً يحوله إلى معتقد، والتّكرار من القوة بحيث يجعل الرجل يُؤْمن بالكلّمات التي يكررها ويسلم بالأفكار التي يعرب عنها عادة**)) [٢٤]. وبما ان الْخِطَاب القرآني هو مدعاة

---

[٢٣] تحدث عنه **الجاحظ** (ت : ٢٥٥هـ) ، وسمّاه **(الترداد)**، يقول: ((وجملة القول في الترداد، أنه ليس فيه حد ينتهى إليه، ولا يؤتى على وصفه. وإنما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواص. وقد رأينا الله عز وجل ردد ذكر قصة موسى وهود، وهارون وشعيب، وإبراهيم ولوط، وعاد وثمود. وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة، لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم، وأكثرهم غبي غافل، أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب)). وقال **ابن فارس** في باب التّكرار من كتاب **الّصاحبيّ**: ((وسُنن العرب التكرير والإعادة إرادةَ الإبلاغ بحسب العناية بالأمر)) . و يقول **ابن جني**: ((اعلم أنّ العرب إذا أرادت المعنى مكّنته واحتاطت له فمن ذلك: التوكيد، وهو على ضربين أحدهما : تكرير الأوّل بلفظه، وهو نحو قولك: قام زيد قام زيد، والثّاني: تكرير الأوّل بمعناه، وهو على ضربين: أحدهما الإطالة والعموم، والآخر: للتثبيت والتمكين ، الأوّل كقولنا: قام القوم كلهم، والثاني نحو قولك: قام زيد بنفسه)) . ظ :البيان والتبيين: ١/ ١٠٥-١٠٦، والصاحبي: ٢٠٧، و الخصائص: ٣ / ١٠١.

[٢٤] القرآن وعلم النفس: ٨٦.

لترسيخ العقيدة الإسلامية الموحدة فان فائدة التّكرار فيه إنما هي للتأكيد والتقرير والإقناع وقد قيل: ((**الْكَلَامُ إِذَا تَكَرَّرَ تَقَرَّرَ**)) [٢٥].

وقد جاءت هذه الدراسة لترصد التّكرار بوصفه ممثلا للمستوى الأُسلوبي الصّوتي في الْخِطَاب (الاسْتِكبَاري) ، وأنواع التّكرار التي يضع البحث يده عليها إنما هي تكرارات صوتية بالمقام الأوّل، إذْ يعكس التّكرار في بعض وجوهه قيما صوتية متشابهة، وكل تكرار سواء أكان على مستوى الجملة أو الكلمة أو الحرف ، هو في الحقيقة عبارة عن قيمة صوتية وتكريس لحضور هذه القيم الصّوتية في التّكرار، إذْ إنّ الاسْلُوْبِيّة الصّوتية هنا تدرس الاسْتِكبَار بوصفه مستوى أُسلوبيا صوتيا من خلال إفادة النص من هذا التردد الصّوتي وهي لاتقف عند حدود هذا المستوى الصّوتي بل تحاول ان تبين القيمة النصية المترتبة على حضور هذا الزخم الصّوتي (التّكراري).

وخِطَاب الاسْتِكبَار زاخر بمستويات متعددة من التّكرار تدخل في بنية الآية القرآنية تمثلت بالتكرار بين آية وأخرى والتكرار في الكلمة الواحدة وتكرار العبارة وتكرار الحرف ، وجاءت هذه الأنواع متفاوتة من حيث كم الحضور في آيات الخطاب ، إذ حقق **(مستوى التكرار بين آية وأخرى)** ، مرتبة متقدمة بين أنواع التكرار في خطاب الاستكبار ؛ لذلك أخذ الحيز الأكبر بالدراسة في هذا المبحث ثم تلاه التكرار بالكلمة ثم تكرار الصيغ الأخرى .

مستويات التّكرار في خِطَاب الاسْتِكبَار:

١) التّكرار بين آية وأخرى :

يؤدي التّكرار الصّوتي من خلال مظاهره المتنوعة وظيفة مؤثرة في البناء الصّوتي للخِطَاب نتيجة انضمام الأصوات بعضها إلى بعض عبر تتابع الآيات التي تحمل نسقاً أسلوبيا متكاملاً، ومن اجتماع هذا الّتتابع التّكراري للآيات ضمن سور متنوعة ، تظهر قيمة المستوى الأُسلوبي الصّوتي وأثرها الفاعل في خطاب الاستكبار ، كما يتجلى فيما يأتي :

---

[٢٥] البرهان: الزركشي: ٤/١٠.

۞ سياق التهديد بالإخراج:

كُررت الأنساق الصّوتية الاسْلُوْبِيّة في الآيات التي تتضمن هذا السّياق ، إذْ تدرج الْخِطَاب سياقيا في إطار التهديد، فمرة يكون التهديد بإخراج الانبياء وحدهم، ومرة بإخراج آل بيتهم، ومن ثُمَّ إخراج أتباعهم المؤمنين، والآيات الآتية توضح هذه الاسْلُوْبِيّة الصّوتية التي جاءت في هذا المستوى من التّكرار:

(١) ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف:٨٨]

(٢) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِين﴾ [إبراهيم:١٣]

(٣)﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٨٢]

(٤)﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُون﴾ [النمل:٥٦]

(٥)قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِين ﴾ [الشعراء:١٦٧]

إن المتأمل في الآيات يلاحظ أن التّكرار الصّوتي في مفردة **(الإخراج)** جاء بصيغ مختلفة ، فمرة بالصّيغة الفعلية، وذلك في **(أربعة)** مواضع، **(اثنين)** منها بصيغة المضارعة و**(اثنين)** بصيغة الأمر، ومرة بالصّيغة الاسمية وذلك في **(موطن واحد)**، إذْ اختار القرآن الكريم لكلّ حالة ألفاظها المنسجمة معها، فجاء كل لفظ متناسباً مع صورته الذهنية من وجه، ومع دلالته السّمعية من وجه آخر، ومن ذلك يتبين أنّ التراكم الصّوتي للفعل المضارع مثل حضوراً أعلى من النوع الآخر؛ إذْ جاء زاخرا بأدوات التوكيد، كما في قوله تعالى:

﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف:٨٨]

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِين﴾ [إبراهيم:١٣]

يُلحظ أنّ الموضع الأوّل جاء فيه سياق التهديد بالإخراج، وهو من النّوع الأوّل الذي هو **(التّهديد بإخراج الأنبياء وحدهم)** وهذا ما أكده المفسرون: ((**فاختير وصف الاسْتِكبَار هنا لمناسبة مخاطبتهم شعيبا بالإخراج أو الإكراه على اتباع دينهم، وذلك من فعل الجبارين أصحاب القوة. وكان إخراج المغضوب عليه من ديار قبيلته عقوبة متبعة في العرب إذا أجمعت القبيلة على ذلك ويسمى هذا الإخراج عند العرب بالخلع، والمخرج يسمى خليعا**)) [٢٦]، فجاءت مفردة ﴿**لَنُخْرِجَنَّكَ**﴾ بصيغة المضارع المتصلة به نون التّوكيد الثّقيلة، وضمير الكاف المخاطبة، والمسبوق بتوكيد قسميّ (باللّام)، وفي الآية الثّانية جاء في سياق آخر من التهديد بالإخراج وهو **(إخراج الأنبياء مع أتباعهم)**، إذْ قال أشرافُ قومِه المُسْتَكبِرون متطاولين عليه عليه السلام غيرَ مكتفِين بمجرد الاستعصاءِ عليه والامتناعِ من الطّاعة له بل بالغين من العُتوّ والاسْتِكبَار إلى أنْ قصَدوا استتباعَه عليه السلام فيما هم فيه وأتباعَه المؤمنين واجترأوا على إكراههم عليه بوعيد النفي وخاطبوه بذلك على طريقة االتّوكيدِ: ﴿**لَنُخْرِجَنَّكَ ياشعيب والذين ءامَنُواْ**﴾، بإيقاع الإخراج على النّبي عليه السلام أولاً، وعلى المؤمنين ثانياً بعطفهم عليه تنبيهاً على أصالته عليه السلام في الإخراج وتبعيتِهم له فيه، كما يُنْبِئ عنه قوله تعالى: ﴿ **مَعَكَ** ﴾ فإنه متعلقٌ بالإخراج لا بالإيمان وتوسيطُ النداءِ باسمه العَلَميّ بين المعطوفَين لزيادة التقريرِ والتهديدِ الناشئةِ من غاية الوقاحةِ والطغيان، أي والله لنُخرجنّك وأتباعَك ﴿**مِن قَرْيَتِنَا**﴾ بغضاً لكم ودفعاً لفتنتكم المترتبةِ على المساكنة والجِوارِ [٢٧].

والملاحظ أنّ خِطَاب الاسْتِكبَار لم يكتفِ بالتهديد بالإخراج وما فيه من مؤكّدات تضاعف قدرته الاسْلُوْبِيّة الصّوتية بل أضاف خِطَاب هؤلاء المُسْتَكبِرين الضمير (نا) لكلمة القرية كأنهم جعلوا القرية ملكا للمستكبرين وأتباعهم وليست ملكا للأنبياء وأشياعهم.

---

[٢٦] تحرير التنوير: ٩/٥ ، و البحر المحيط: ٥ /١١٢

[٢٧] ظ: إرشاد العقل السليم: ٣ / ١٤ . وروح المعاني: ٦ / ٢٦٤.

ويلحظ أنّ خِطَاب الاسْتِكبَار بمستواه الصّوتي قد استمدَّ دلالته في التّكرار من خلال طبيعة الأصوات المكررة في الآيات التي تحمل سياقا متشابها، إذْ يُعنى القرآن بـ **((الجرس والإيقاع عنايته بالمعنى وهو لذلك يتخير الألفاظ تخيراً يقوم على أساس من تحقيق الموسيقى المتّسقة مع جو الآية وجوّ السّياق بل جوّ السّورة كلّها في كثير من الأحيان....))** [٢٨] وبخاصة تلك الآيات التي حَفَلَ بها خِطَاب المُسْتَكبِرين لتأكيدها استكبارهم وطغيانهم.

وقد حفلت الآيات الأربع التي تحمل نسق التّكرار في سياق التهديد بالإخراج هنا بإمكانات صوتية رسمت للخِطَاب أداءً أُسلوبيا مميزا، فجاءت بأُسلوبين:

الأوّل: أُسلوب الصّيغة الفعلية المضارعة.

الآخر: أُسلوب صيغة فعل الأمر.

ففي صيغة المضارعة يلحظ مجيء الفعل مكررا في آيتين، فورد في الآية الثامنة والثمانين من سورة الأعراف ﴿**لنُخرِجنّك**﴾ وفي الآية الثالثة عشرة من سورة إبراهيم﴿ **لنُخرِجنّكم**﴾ فضلا عن أنّ الْخِطَاب في هاتين الآيتين جاء مكثفا ببنية صوتية للفعل المضارع، تمثلت في مجيئه بسياق التخيير إذْ خيروا شعيبا ﷺ ومن معه بين أن يخرجوا من القرية وبين العودة إلى مِلّتهم، مما استدعى وجود صيغة مضارعة أخرى تمثلت في جواب القسم﴿ **لتعُودنّ** ﴾ إذ كرر سياق التخيير في خِطَابهم في الآيتين و **((قد جعلوا عود شعيب والذين معه إلى ملة القوم مقسما عليه فقالوا: أو لتعودن ولم يقولوا: لنخرجنكم من أرضنا أو تعودن في ملتنا، لأنهم أرادوا ترديد الأمرين في حيز القسم لأنهم فاعلون أحد الأمرين لا محالة وأنهم ملحون في عودهم إلى ملتهم))** [٢٩]. وهذا استدعى كما أشرنا وجود الفعل المضارع **(لتعودن)** فجاء مكررا **(مرتين)** وحافلا بالمؤكدات كما في صيغة ﴿**لنخرجنّك**﴾ فانتجت لنا سِمة أسْلُوبِيّة في هذا الْخِطَاب ممثلة بالصّيغة الفعلية المضارعة في

---

[٢٨] الجرس والإيقاع في تعبير القرآن: ٣٣٥.

[٢٩] التحرير والتنوير: ٩/ ٦.

(أربعــة) مواضـع من الآيتين، فمثلت تلك الصّيغة دالا صوتيا مهماً رسم للخِطَاب انسيابية صوتية فجاء إيقاع اللفظ على انفراده مناسبا للّفظ في سياقه، فأفصح عن المعنى ودلّ عليه، **إذْ ((للحروف في اللّغة العربية إيحاء خاصًا، فهو إن لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى، يدل دلالة اتجاه وإيحاء ويثير في النّفس جوًا يهيئ لقبول المعنى ويوجه إليه ويوحي به))** [٣٠].

وقد أشار الدكتور إبراهيم أنيس إلى هذا النوع من الدلالة التي تُستمد من طبيعة الأصوات والتي يُسميها علم اللّغة الحديث **(الدلالة الصّوتية)** أو **(رمزية الألفاظ)** [٣١]، لأن لكلّ كلمة ذائقة سمعية – تكتسبها من استقلالها بحروف معينة – قد تختلف عمّا سواها من الكلّمات التي تؤدي المعنى نفسه مما يجعل الكلمة المختارة مؤثرة أكثر من الأخرى – وإن اتحدتْ معها بالمعنى – بما تضفيه الدلالة الصّوتية التي تتجلى بكلمات مختارة [٣٢].

وبتحليل الصّيغ التي جاءت مكررة في الآيتين نجد أن صيغة المضارع في الفعل ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ ﴾و﴿لَنُخْرِجَنَّكُم﴾ انتظمت فيها أصوات لغوية تمثلت في الحروف الآتية (ل، ن، خ، ر، ج، ك، م) وبتفحص هذه الأصوات نجد أنها تمثلت بالأصوات الجهورة بنسبة كبيرة (ج، ل، ن، ر، م)، والجهر من ملامح القوة في الصوت؛ فهو يؤدي وظيفة إيجابية، إذْ تمثل صفة الجهر قوة الصوت وارتفاعه؛ لأن الجهر هو علوّ الصوت ووضوحه: ((**جهر بالقول إذا رفع به صوته فهو جهير، وأجهر، فهو مجهر إذا عرف بحدة الصوت**))[٣٣]، إذْ إنّ الأصوات الانفجارية تُعزى قوتها إلى شدّة اندفاع الهواء، وهو شديد الوقع على السّمع، لأن الشّدة النّطقية تظهر مع الصوت الانفجاري، أكثر من الصوت الاحتكاكي، وهذه الشدّة ناتجة عن الطبيعة النّطقية

---

[٣٠] فقه اللغة وخصائص العربية: ٢٦١.

[٣١] ظ: دلالة الألفاظ: ٦٨-٧٠.

[٣٢] ظ: الصورة الفنية في المثل القرآني: ٢٣٨.

(٣٣) لسان العرب: ١٤٩/٤

التي يستدعيها الصوت الانفجاري، فهي ((**الصّفة الفسيولوجية التي تميز فيها الإذْن الصوت الشّديد القوي من الصّوت الضّعيف الخافت، كأن يتحدث الإنسان بصوت مرتفع، أو يهمس همسات خفيفة، أو يستمع الشخص إلى حديث آخر مباشرة، أو بمكبر صوت؛ وعلّته الفيزيائية هي سِعَة اهتزاز طبقة الهواء بجوار الإذْن، التي ينتج عنها تغيرات محسوسة في الضغط**)) [٣٤]، تسمى أيضا علوا أو درجة الصوت **(Loudness)** [٣٥].وهذه الأصوات الجهورة تناسب تماما مقام الْخِطَاب الاسْتِكبَاري المستعلي المتّسم بالغضب والتهديد والوعيد، فيكشف اجتماع الأصوات المجهورة في المفردة القرآنية الدلالة التي يتولّد في ظلّها الْخِطَاب، ويحاكي نوعا من الانفعالات الخاصة بالمخاطِبين، كما في حالة المُسْتَكبِرين في خِطَابهم الذي يؤكد حالة الاستعلاء والاسْتِكبَار المصاحبة لتهديدهم بالإخراج مستعينين بقوتهم وسلطتهم.

فضلا عن صفة الذَّلاقة التي اتصفت بها بعض حروف هذه المفردة التي يكون مخرجها من طرف اللسان وهي (ل، ن، ر)، وتتميز أصوات هذه الأحرف بخروجها في سهولة ويسر وخفة [٣٦]. والذّلاقة ملمح قوة في الصوت، وتمتاز هذه الأصوات بوضوحها السمعي العالي [٣٧].

كما يُلحظ أيضا أن حرفي ال (ك، ج) من الحروف الشديدة و (ل، ن، ر، م) من الحروف المتوسطة الشدّة، فاجتمعت هذا الأصوات لتكوّن نسقا صوتيا دلّ على التهديد بالإخراج قسراً وعنوة.

وزيادة على ذلك نجد أنّ الآية متضمنة صيغة جواب القسم المضارعة التي أشرنا إليها (لتعودُنّ) وأيضا انتظمت فيها أصوات لغوية دلّت على مناسبة الْخِطَاب (ل، ت، ع، و، د، ن)، إذْ يُلحظ أن الحروف (ت، ع، و، د) تتضمن أصواتا تمتاز

---

[٣٤] فيزياء الدوريات والجسيميات: ١١٦.

[٣٥] دراسة الصوت اللغوي: ٣٠.

[٣٦] العربية وعلم اللغة الحديث: ١٢٧.

[٣٧] مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية: ١٠٤.

بخصائص صوتية أسهمَتْ في سبك المعنى وتقديمه بالوجه الأكمل، وتشاركت في أغلب الخصائص مع صيغة (لنخرجنّك)، إذْ جاء حرفا (التاء والدال) يحملان الصفة الانفجارية وهما يتشاركان مع حرف الكاف في هذه الصفة، ومن هنا نرى مناسبة الأصوات الانفجارية للمعنى الشديد القوي، لأن ((**الانفجار يؤدي إلى حدوث صوت قوي له دوي بعد انحباسه في مخرجه لحظة من الزمن**)) [٣٨].

ولا نغفل وجود حرف (العين) في الصّيغة المضارعة ﴿**لَتَعُودُنَّ**﴾ الذي هو من الأصوات الاحتكاكية، ويحدث الصوت الاحتكاكي في الجهاز النّطقي ... ((**عن طريق تضييق المجرى، إلى درجة تسمح بمرور الهواء، ولكن مع احتكاكه بجانبي المجرى محدثًا صوتًا مسموعًا**)) [٣٩]، فهي أصوات يضيق فيها مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع النّطقية بحيث يحدث الهواء في خروجه صوتًا مسموعًا، والنقاط التي يضيق عندها مجرى الهواء كثيرة متعددة، تخرج منها الأصوات الاحتكاكية [٤٠]، وهذا يعملُ على زيادة تردد الأمواج الصّوتية؛ لما يحدثه من ضغط واقع عليه، وبهذا يكون ملمح الاحتكاك في الأصوات اللّغوية ملمح قوة، يحفل به الصوت الذي يحمله' ولكن لاتصل قوته النّطقية إلى قوة الصوت الانفجاري.

يتضح لنا من خلال هذه المعطيات أن صيغتي المضارعة اللّتين كُررتا أربع مرات في آيتين حملتا معنى واحدا ألمحنا إليه في السّياق الأُسلوبي الصّوتي للآيتين فجاء التّكرار كاشفا عن هذا المعنى من خلال استعمال التهديد بأُسلوب التخيير بين الإخراج أو العودة ﴿ **لَنُخْرِجَنَّكَ** ﴾ ﴿**لَتَعُودُنَّ**﴾ ﴿**لَنُخْرِجَنَّكُم**﴾، ﴿**لَتَعُودُنَّ**﴾ وكلا المعنيين **(الإخراج والعودة)** يتضمنان القوة ويشتملان على القسر.

وعلى نحو ما أشير إليه في قوله تعالى:﴿ **قَرْيَتِنَا**﴾ فإن قوله: ﴿**لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**﴾ وما في ملتنا من إضافة الضمير (نا) هو إيحاء بأن خِطَاب الاسْتِكبَار يذهب

---

[٣٨] علم الأصوات العربية: ١٤٦.

[٣٩] أسس علم ٱللغة: ٧٨.

[٤٠] ظ: علم اللغة العام: ١٧٠.

إلى امتلاك الدين كما امتلك القرية، وهذا المعنى يفهم من القيم الصّوتية المضافة من خلال الضمير (نا) الذي يشير الى التّملّك حيث اجتمع فيه صوتا (النون، الألف) وهما صوتان جهوريان منحا السّياق غلظةً وقوةً وإشعاراً بالتعالي والاسْتِكبَار.

وأما صيغة فعل الأمر فقد كُررت في آيتين وفي كل آية مرة واحدة:

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢]

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُون﴾ [النمل:٥٦].

عند التأمل في الآيتين يلحظ أنّ الفعلين كُررا بصيغة (فعل الأمر) المتضمنة خِطَاب الجماعة، لكن الصّيغة الأوّلى جاءت مسندة إلى الضمير (هم) في حين الصّيغة الأخرى أَسْنِدَتْ إلى (آل لوط)، وعلّة ذلك كما ذهب إليه أبو حيان في تفسيره هي أنّ : ((**الضمير في أخرجوهم عائد على لوط ومن آمن به ولما تأخر نزول هذه السورة عن سورة النمل أضمر ما فسره الظاهر في النمل من قوله أخرجوا آل لوط من قريتكم**)) [٤١]،

ويرى البحث ان العلّة في مجيء الْخِطَاب مرة بالضمير (هم) ومرة (آل لوط) هي أنّ مقتضى العقل يستلزم أن يكرر الْخِطَاب من النبي لوط ﷺ على وفق فلسفة رسالة الانبياء التي تقتضي تكرار الدّعوة لأقوامهم لحثّهم على الإيمان بالله تعالى، ومن ثم فليس مستبعدا أن يكون قوم لوط قد استكثروا من خطاب التهديد بالإخراج ، تبعا لاستكثار لوط عليه السلام من خطاب دعوتهم إلى الله تعالى ، فضلا عن ذلك نجد أنّ تكرار هاتين الآيتين بشكل شبه مطلق باستثناء مجيء الضمير (هم) في الآية الأوّلى ومجيء (آل لوط) في الآية الثانية يوحي بقضيتين أُسلوبيتين:

أولاهما: أنّ هذه الجماعة المُسْتَكبِرة من قوم **لوط** كانت تستعمل فكرة خِطَاب الطّرد كثيرا في مواجهة خِطَاب **لوط.**

---

[٤١] البحر المحيط: ٥/ ١٠١.

وأخراهما: إنّ المنظومة الإستكبارية التي يصدر عنها خطاب الاستكبار منظومة تتشابه مقولاتها، فلا غرابة في أن يكون كلام المستكبرين مثل قوم لوط عليه السلام .

ولما يحمله خِطَاب الأمر من دلالة على المستقبل؛ استدعى السّياق أن تأتي صيغة التهديد بالإخراج باستعمال (فعل الأمر) فخِطَاب المُسْتَكبِرين –هنا – خِطَاب آني يستدعي التنفيذ من دون تخيير، بخلاف صيغة الفعل المضارع التي كانت متضمنة خِطَاب التخيير، فاستدعت وجود الفعل المضارع الذي يحمل دلالة الحاضر والمستقبل، وهذه من الأساليب التي امتاز بها القرآن الكريم وتجلّت في خِطَاب الاسْتِكبَار.

وباستحضار ما وراء المستوى الصّوتي في هذه التّكرار يلحظ أنّ سياق الإخراج بصيغة (فعل الأمر) ﴿أَخْرِجُوهُم﴾ قد تجلى من خلال ما تتضمنه الصّيغة من أصوات دالة، تمثلت في الأصوات اللّغوية لهذه الصّيغة، ولابدّ من الإشارة هنا إلى أنّه قد سبق تبيان المزايا الصّوتية للحروف التي جاءت في صيغ الاخراج، لذا سيُكتفى هنا ، ببيان ما لم يتم ذكره في ذلك الموضع ألا وهو حرف (الهمزة) في صيغة ﴿وأَخْرِجُوا﴾ إذْ جاء هذا الصوت ليؤازر بقية الأصوات في الشدة والجهر فاللفظة ﴿أَخْرِجُوهُم﴾ المعبرة عن الشدة والقوة إنما تمّ لها ذلك من طبيعة أصواتها فهذه الألفاظ هي أداة لتصوير المعاني ونقلها من نفس المتكلم إلى نفس المخاطب بها.... ولا شك أنها هي عظيمة الأثر في الإعجاز اللّغوي الذي نحن بصدده إذْ اللّغات تتفاضل من حيث هي بيان أكثر من تفاضلها من حيث هي أجراس وأنغام[٤٢].

وهذا صورة أخرى لما قاله الرافعي حين جعل الكلمة ثلاثة أصوات هي: صوت النفس والذي عرّفه بأنه: الصوت الموسيقي الذي يتكون من تأليف حروف الكلمة واجتماعها ومخارجها وحركاتها ومدّاتها وغناتها... وصوت العقل وهو الصوت

---

[٤٢] ظ : النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: ١٠٦.

المعنوي الذي يختص بمعنى الكلمة (دلالتها) ومخاطبتها للعقل وصوت الحسّ: الذي هو اجتماع إيقاع حروف الكلمة وروعة معانيها، أو هو اجتماع صوت النفس وصوت العقل وعلى مقدار ما يكون في الكلام البليغ من هذا الصوت يكون فيه من روح البلاغة وصوت الحس هذا هو روح الإعجاز في القرآن الكريم[٤٣].

ومن هذا كلّه يمكننا القول إن الصّيغ الفعلية قد حَفلَتْ بإمكانات صوتية رسمَتْ للخِطَاب أداءً أُسلوبيا في الآيات الكريمة، منها مجيء صيغة الإخراج بالفعل المضارع كما سبقت الاشارة اليه، إذْ رسم الفعل المضارع ﴿ **أَخْرِجُوا** ﴾ أداءً صوتيا خاصا جعل أُسلوبيته تفصح عن الزمن الحاضر والمستقبل، كما استحضر فعل الأمر دالا صوتيا من خلال صيغته المجازية الدالة على التهديد، وقد جاء الْخِطَاب مكثفا ببنية صوتية للصيغ الفعلية تمثلت باتصالها بنون التوكيد الثقيلة ولام التوكيد من جهة ، وضمير الجماعة من جهة، أخرى فهذه المقومات والإمكانات كلها مثلت دالا صوتيا في إطار المستوى الأُسلوبي فضلا عن المستوى الموضوعي المباشر الذي تؤديه في السّياق على مستوى موسيقى الصوت.

أما الصّيغة الاسمية الي جاءت متضمنة لسياق التهديد بالإخراج في الآية الكريمة: ﴿**قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ** ﴾ **[الشعراء:١٦٧]** فنجد أنّ السّياق جاء محكوما بالتأثير والإقناع فشكّل التّكرار أُسلوبا مميزا وحقق غاية دلالية من خلال انفعال الجملة بأصوات بعينها كما أُوضح في صيغ (الإخراج) فأدى هذا إلى جعل أسْلُوبِيّة الصياغة كاشفة عن أسْلُوبِيّة الْخِطَاب، إذْ جاءت هنا جملة واحدة تحشد قيما صوتية أكثر من القيم الصّوتية التي أدّتها الصّيغ الفعلية، ويعود ذلك إلى السّياق الذي وردت فيه الآية الكريمة حيث اجتمعت فيها كلا الصّيغتين (الفعلية والاسمية) وتمثل ذلك في مجيء الفعل ﴿**تَكُونَنَّ** ﴾ ردفا للاسم ﴿ **الْمُخْرَجِينَ** ﴾ وهي في سياق التهديد والقسر على الإخراج ، وأيضا جاء هنا الْخِطَاب حافلا بالمقومات الصّوتية الاسْلُوْبِيّة الدالة كأدوات التوكيد (ل، ن) ، وصيغة الجمع الاسمية في مفردة

---

[٤٣] ظ : تاريخ آداب العرب: ٢ / ١٤٦.

﴿ **الْمُخْــرَجِين** ﴾ إذْ تشفّ هذه المكونات الصّوتية عن انعكاسات نفسية تمثلت في الْخِطَاب، فاللام يتسم بالرنين (مائع)، والوضوح السمعيّ، وهو يحمل الدلالة على القوة، ويوحي بالثَّبات والتَّماسك بسبب تحّفز أعضاء النّطق في إنتاجه، حيث يخرج من ((**حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية**)) [٤٤]، كما أن صوت النون من الأصوات الأنفية، المائعة، الواضحة في السمع، التي تبدو للسامع وكأنها خارجة من الأعماق، **فهو يخرج من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا**[٤٥]. النظام الصّوتي لخِطَاب المُسْتَكبِرين في الآية المباركة جاء مستثمرا للطاقات الصّوتية الكامنة في الألفاظ لينقل إلى المخاطَب صورة صوتية يظهر مقصوده من خلالها واضحا جليا.

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ أسلوبية سياق الإخراج جاءتْ مجسدة في صيغ متنوعة ومتعددة في الآيات اجتمعت جميعها واشتركت في حروف هي: **(ل، ن، خ، ر، ج، ه، أ، م، ي، ن)**، وتكونت من هذه الأصوات صيغ عديدة تتضمن أصواتاً رامزة تُشِير إلى معان كامنة فيها من خلال الإيحاءات التي يقصد المخاطِب إيصالها ضمن رسالته فظهر الأثر الذي تركته تلك الطاقات الصّوتية على الْخِطَاب بشكل أُسلوبي فجاءت إسقاطا لمرجعياتهم الفكرية التي كونت لهم خِطَابا واحدا شاملا مكرورا بوصفهم ((**كتلة منسجمة في الهدف وإن لم تجمعها وحدة تنظيمية معينة**)) [٤٦].

من ذلك يتبين أنّ فعل الإخراج مثّل مهيمنة أسْلُوبِيّة في خِطَاب المُسْتَكبِرين وهذه المهيمنة لها تجليات وتمظهرات كثيرة، تمثلت بالصيغ الفعلية **(المضارع، الأمر)**

---

[٤٤] المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : ١/ ٣٢.

[٤٥] ظ : م . ن والصفحة .

[٤٦] الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم: ٩٨.

والصيغة الاسمية ، فضلا عن المؤكدات، وهذه كلّها كوّنَتْ دالا صوتيا مهما في إطار المستوى الأسلوبي الصوتي .

❁ سياق الاتّهام بالسّحر:

ومن السّياقات الأخرى التي جاء فيها مستوى التّكرار بين آية وأخرى هو سياق (الاتهام بالسّحر) وقد كُرِّر هذا السّياق في الآيات الآتية:

١) ﴿ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِين﴾ [المائدة:١١٠]

٢) ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِين﴾[الأنعام:٧]

٣) ﴿فَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ إِنَّ هَـذَا لَسِحْرٌ مُّبِين﴾[يونس:٧٦]

٤) ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَـذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحرون﴾ [يونس:٧٧]

٥) ﴿ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِين﴾[هود:٧]

٦) ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ إِذْنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السّحر فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾[طه:٧١]

٧) ﴿فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِين﴾[النمل:١٣]

٨) ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِين﴾[سبأ:٤٣]

٩) ﴿فَلَمَّا جَاءهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـذَا فِي آبَائِنَا الأَوّلين﴾[القصص:٣٦]

١٠) ﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِين﴾[الصافات:١٥]

١١) ﴿وَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُون﴾[الزخرف:٣٠]

١٢) ﴿وَإِذا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ هَـذَا سِحْرٌ مُّبِين﴾[الأحقاف:٧]

١٣) ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُون﴾[الطور:١٥]

١٤) ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِر﴾[القمر:٢]

١٥) ﴿ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِين﴾[الصف:٦]

١٦) ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَر﴾[المدثر:٢٤

١٧) ﴿قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيم﴾[الشعراء:٣٤

١٨) ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّاب﴾ [ص:٤]

١٩) ﴿إِلى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّاب﴾[غافر:٢٤]

٢٠) ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السّاحر ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُون﴾ [الزخرف:٤٩

٢١) ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُون﴾[الذاريات:٣٩]

٢٢) ﴿قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ عَلِيم﴾ [الأعراف:١٠٩]

٢٣) ﴿مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُون﴾ [الذاريات:٥٢]

٢٤) ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ مُّبِين﴾ [يونس:٢]

عند النظر في هذه الآيات الكريمة التي حملتْ سياق (الاتهام بالسّحر) يُلحظ أنّ تكرار **(الاتهام بالسّحر)** تكرار داخل في باب الصّراع بين الْخِطَاب الاسْتِكبَاري والْخِطَاب الرّسالي، ويكون هذا التّكرار دالا على منهجية فكرية استكبارية نجم عنها هذا الأداء الأُسلوبي ؛ إذ توحي تهمة السّحر التي جوبه بها الانبياء، بأنَّ خِطَاب الاسْتِكبَار يجمع الاستعلاء من وجه، والتّجافي عن حقائق الأشياء من وجه آخر، اما الاستعلاء فيأتي من جهة النّظر إلى السّاحر على أنّه متكسّب كاذب وإسقاط هذه الصّفات على النبي ﷺ هو محاولة لتوهين المواصفات التي وُصِف بها الانبياء بالرّفعة والشانية. وأما التّجافي عن حقائق الأشياء فيكون في محاولة إسقاط الهدف الاسْتِكبَاري على الهدف الرّسالي، فاتّهام النّبي ﷺ بأنّه يريد أنْ يتفضل على الناس إنما هو لتحقيق هذه الغاية.

وبلحاظ الأثر الصّوتي النابع من لفظة (سحر) نجد أنّهُ قد انتظمت فيه مقومات أسْلُوبِيّة أسهمت في كشف خِطَاب المُسْتَكبِرين وإظهار دلالاته، إذ إنّ

التّكرار يعمل على إغناء الجانب الصّوتي للخِطَاب فهو **((من أهم الأركان التي تظهر الجرس بين الألفاظ))** [٤٧]، ولهذا نجد أن **((القيم الصّوتية لجرس الحروف والكلمات عند التّكرار لا تفارق القيمة الفكرية والشعورية المعبرّ عنها))** [٤٨].

ولأن التّكرار يعدّ أحد أهم العناصر الصّوتية المستعملة لغايات أسْلُوبِيّة في السلسلة الكلامية[٤٩] فسوف نرى ما تحقق من غايات أسْلُوبِيّة في سياق الاتهام بالسّحر وتحديدا في نسق السّحر الذي اشتمل عليه الْخِطَاب، إذ تتكون مفردة (سحر) من ثلاثة حروف لها صفات صوتية خاصة، فحرف السين من الأصوات الأسنانية اللثوية وهو **((صوت رخو مهموس مرقق))** [٥٠]، يليه صوت الحاء وهو من الأصوات الحلقية بلحاظ مخرج الصوت وهو **((صوت رخو مهموس مرقق))** [٥١]، ثم حرف الراء اللّثوي وهو **((صوت تكراري مجهور، يتم نطقه بأن يترك اللسان مسترخيا، في طريق الهواء الخارج من الرئتين، فيرفرف اللسان، ويضرب طرفه في اللثة ضربات مكررة. وهذا معنى وصف الراء بأنه صوت تكراري، هذا بالإضافة إلى حدوث ذبذبة في الأوتار الصّوتية، عند نطق هذا الصوت))** [٥٢]. وباجتماع هذه الأصوات مع بعضها تتحّقق الدلالة الصّوتية من مجموع تآلف أصوات البنية اللغوية وطريقة أدائها الصّوتي، ومظاهر هذا الأداء، ولكي يكتسب الصوت اّللغوي إيحاء تعبيريًا؛ يجب أن يكرر بدرجة تجعل له وجودا بارزا في الكلام[٥٣].

---

[٤٧] جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: ٣١٣.

[٤٨] التكرير بين المثير والتأثير: ٨٤.

[٤٩] الأسلوب والأسلوبية: ٣٩.

[٥٠] المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٤٧.

[٥١] المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٥٥.

[٥٢] م . ن : ٤٨.

[٥٣] ظ: نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي: ٢٣٩.

ومن المعروف إن تميّز أية كلمة وانفرادها بأصوات معينة، يكسبها صوتيًا ذائقة سمعية منفردة، تختلف – من دون شك –عما سواها من الكلمات التي تؤدي المعنى نفسه، مما يجعل كلمة ما دون كلمة، وإن اتحدتا بالمعنى، لها استقلاليتها الصّوتية، إما في الصدى المؤثر، وإما في البعد الصّوتي الخاص، وإما بتكثيف المعنى بزيادة المبنى، وإما بإقبال العاطفة، وإما بزيادة التوقع، فهي حينًا تصك السمع، وحينًا تهيئ الّنفس، وحينًا تضفي صيغة التأثر: فزعًا من شيء، أو توجهًا لشيء، أو طمعًا في شيء، وهكذا [٥٤].

وتكرار الأصوات صورة من صور التّكرار اللفظية الشائعة ،وله مزية سمعية وأخرى فكرية: الأولى ترجع إلى موسيقاها، والأخرى إلى معناها **((فكما أن عودة النقرة على الوتر تحدث التجاوب مع سابقتها؛ فتأنس الأذن بازدواجها وتآلفها، فإن عودة الحرف في الكلمة تكسب الأذن هذا الأنس، ولو لم تكن لعودته مزية أخرى تعود إلى معناه، فإذا كان مما يزيد المعنى شيئا، أفاد مع الجرس الظاهر جرسا خفيا لا تدركه الأذن، وإنما يدركه العقل والوجدان وراء صورته))** [٥٥] فالتّكرار لا يقوم فقط على مجرد تكرار الصوت في السّياق، بل يضاف إلى ذلك ما تتركه هذه اللفظة من أثر انفعالي في نفس المتلقي، وبذلك فإنه يعكس جانبًا من الموقف النفسي والانفعالي، فكلّ تكرار يحمل في طياته دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السّياق.

وفي ضوء هذا نجد أنّ آيات الاتهام بالسحر قد كرر فيها نسقان[٥٦] في الْخِطَاب الاسْتِكبَاري: **الأوّل نسق السّحر. والآخر نسق السّاحر.**

ففي نسق السّحر نجد كلمة السّحر – أحيانا – ترد مقرونة بالصفة وأحيانا بلا صفة،فقد وردت موصوفة في إحدى عشرة آية، تسع منها موصوفة بالضميمة (مبين).

---

[٥٤] ظ: اّللغة بين القومية والعالمية: ٢٧ –٢٨.

[٥٥] التكرير بين المثير والتأثير: ١١.

[٥٦] النسق : هو مايتولد عن تدرج الجزئيات في سياق ما، أو ما يتولد عن حركة العلاقات بين العناصر المكونة للبنية. ظ : المصطلحات الأساسية لتحليل الخطاب : ١٤١.

ومن هذا المنطلق نجد تكرار **نسق الادّعـاء بالسّـحر** جاء يحمل صيغا متعددة فمرة جاء موصوفا بالصفة **(مبين)** وذلك في الآيات الآتية:

١) ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِين﴾ [هود:٧]

٢) ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِين﴾[المائدة:١١٠]

٣) ﴿ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِين﴾[الأنعام:٧]

٤) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِين﴾[سبأ:٤٣]

٥) ﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِين﴾[الصافات:١٥]

٦) ﴿فَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ إِنَّ هَـذَا لَسِحْرٌ مُّبِين﴾[يونس:٧٦]

٧) ﴿فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِين﴾[النمل:١٣]

٨) ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَـا بَيِّنَـاتٍ قَـالَ الَّذِيـنَ كَفَـرُوا لِلْحَـقِّ لَمَّـا جَـاءهُمْ هَـذَا سِـحْرٌ مُّبِين﴾[الأحقاف:٧]

٩) ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَـذَا سِـحْرٌ مُّبِين﴾[الصف:٦]

يُلحظ في هذه الآيات قد كررت صيغة ﴿سِحْر﴾ مع ضميمة لها وهي ﴿مُّبِـين﴾ فجاء السّحر موصوفا هنا، وهذا يحيل على أسْلُوبيّة صوتية يتصف بها خِطَاب المُسْتَكبِرين، إذ إنّ اجتماع التنوين مع الميم في ﴿سِحْرٌ مُّبِين﴾ يسمى **(إدغامـا)**، وهو من الظواهر الصّوتية التي تمنح الْخِطَاب قوة، إذ إنّ **(نـون التنـوين ومـيم مبـين)** كلاهما صوتان أنفيان يتسمان بـ (الغنة)، وهي صوت يخرج من الخيشوم، ولذلك لو أمسك المتكلم بأنفه لما أمكن خروجه، وصوتاها هما: النون، والميم، ويتكون هذان الصامتان **((بأن يحبس الهواء حبسًا تامًا، في موضع من الفم، ولكن يخفـض الحنـك**

اللين، الطبق، فيتمكن الهواء من النفاذ عن طريق الأنف)) [٥٧]. وهذا ما يعرف بالأنفية ثم **((إن الهواء الخارج من الرئتين، يمر في التجويف الأنفي، محدثًا في مروره نوعًا من الحفيف))** [٥٨]، ومن هنا يسمى هذا النوع من الأصوات انفجارا انفيا.

والأصوات الأنفية من الأصوات الرنانة ذات الجِرس العالي في اللغة العربية، وهو جرس يستلّذه السمع بما يكونه من صور سمعية تساوق النغمة التي جرسها من جوهر الغّنة، وهي عنصر رئيس من عناصر البيان المنتج للمعنى **((فإذا كانت الكلمة مكونة من حروف قوية الإسماع حسن جِرسها))** [٥٩]، وفي الأحوال كلها تتذبذب الأوتار الصّوتية عند إنتاجها، ولذا، فإن الأصوات الأنفية تعد مجهورة، وقوة هذه الأصوات ناتجة من اجتماع ملمحي الغّنة والجهر فيها. لذلك فإنّ مقام الْخِطَاب هذا جاء منسجما مع الأصوات اللغوية المستعملة في هذا الْخِطَاب. فضلا عن ضميمة (مبين) التي كونت مع التنوين في مفردة (سحر) ملمحا أسلوبيا صوتيا لخِطَاب الاسْتِكبَار من خلال (الادغام).

وقد ظهر هذا الأسلوب الصوتي كذلك في ضميمة أخرى هي مفردة (مستمر) في الآية الكريمة: **﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِر﴾ [القمر:٢]**، إذ تحقق الإدغام في (نون) التنوين ، و(ميم) **﴿مُسْتَمِر﴾**، وكذلك في الآية الكريمة**﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَر﴾[المدثر:٢٤]**، بين التنوين والياء في **﴿يُؤْثَر﴾**.

أما في مجيء خِطَاب المُسْتَكبِرين في سياق **اتهام الأنبياء بالسّحر** من خلال استعمال مفردة **(ساحر)** ،فنجدها قد وردت في الآيات الآتية:

(١)قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيم﴾ [الشعراء:٣٤]

---

[٥٧]علم ألّلغة مقدمة للقارئ العربي: ١٧٩.

[٥٨]المدخل إلى علم ألّلغة ومناهج البحث ألّلغوي: ٤٩.

[٥٩] موقف النقد العربي التراثي من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية، ضمن كتاب: قراءة جديدة لتراثنا النقدي:٢ / ٧٨.

(٢)﴿كَذَلِكَ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ عَلِيم﴾ [الأعراف:١٠٩]

(٣)﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّاب﴾ [ص:٤]

(٤)﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّاب﴾[غافر:٢٤]

(٥)﴿وَقَالُوا يَاأَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُون﴾ [الزخرف:٤٩]

(٦)﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُون﴾[الذاريات:٣٩]

(٧)﴿مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُون﴾ [الذاريات:٥٢]

(٨)﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ مُّبِين﴾ [يونس:٢]

(٩)﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾[طه:٦٣]

جاء هنا سياق الادعاء بالسّحر بصيغة (ساحر) ويُلحظ أن هذه الصيغة قد كُررت تسع مرات مناصفة مع صيغة (سحر) وهذا يشير إلى أن المُسْتَكبِر حين تمتلئ نفسه ببغض شيء ، فإنه يفرده بما لغيره من حكم أو صفة، وذلك على سبيل المبالغة التي تنفي عن سواه ما ثبت له فيندفع المخاطب لإصدار الحكم عليه وهذا حال المُسْتَكبِرين لذلك جاء خِطَابهم في هذا النسق مكرورا متماثلا.

وتجدر الإشارة إلى أنّ **السّحر** في خِطَاب المُسْتَكبِرين قد جاء للسخرية بوصفه مادة لنبز الأنبياء وتعييرهم ، تسويغا لاتخاذ السّحر وسيلة لمواجهة الانبياء، وبهذا يكون السّحر وسيلة تثبيط للخِطَاب النبوي ، وهذا ما يفسر حضوره بشكل جلّي.

وفي الآيتين الكريمتين:

﴿كَذَلِكَ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ عَلِيم يريد ان يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ﴾ [الأعراف:١٠٩]

قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون﴾ [الشعراء:٣٤]

يُلحظ أن نسق تكرار ﴿سَاحِرٌ﴾ جاء مقترنا بصفة ﴿عَلِيم﴾ لأنه جاء في مقام التّكرار البياني المراد منه بيان الحكم وتوكيده، وبتأمل الآيتين يلحظ أنّ مرسل الْخِطَاب في سورة الأعراف هم قوم فرعون، في حين مرسل الْخِطَاب في سورة الشعراء هو فرعون نفسه [٦٠] فجاء الْخِطَاب في الآية الأوّلى ﴿قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ وفي الآية الأخرى ﴿قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ﴾ فيُلحظ هنا الوحدة في خِطَابهم فجاء مكررا متماثلا في الْخِطَابين، إلا أن المحاججة في سورة الأعراف كانت مع قوم فرعون، وفي سورة الشعراء مع فرعون نفسه، فاقتضى ذلك أن يكون التّكرار حاضرا في الآيتين في سياق التتابع بين آية وأخرى.

ويُلحظ أيضا أن صفة الساحر كررت في ثماني آيات بصيغة المفرد وفي آية واحدة بصيغة المثنى، إلا أنّها في صيغة المثنى قد حشدتْ قيما صوتية أكثر من الآيات الاخرى ؛ ومرجع ذلك إلى أنّ الْخِطَاب جاء على لسان المخاطِب في مقام خِطَاب الإقناع بالحكم، واشتمل على ذكر علّة الحكم في سياقه كما في الآية المباركة:

﴿ قالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾[طه:٦٣]

فذكر العلّة يحمل النفس على قبول الكلام والرضا به، فيُلحظ أنهم في خِطَابهم قد عللوا اتهام موسى وهارون عليهما السلام بالسّحر ذي يستعان به في الإخراج من الديار والذهاب بالطريقة المثلى ، فهنا جاء نسق صوتي أسلوبي انتخب فيه المخاطب مفردات مؤلفة من حروف كررت بعينها فيحدث تكرارها أصواتا وإيقاعا يحيل على أسْلُوبِيّة الْخِطَاب المتسم بالتعالي والقوة والغضب والرفض.

كما يُلحظ أن الْخِطَاب هنا يستحضر نسقا سبقت الإشارة إليه ، وهو نسق الإخراج الذي جاء في خِطَاب قوم لوط وقوم شعيب، إذ جاء هنا في خِطَاب مستكبر آخر وهو فرعون: ﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا﴾ لكن نسق الإخراج

---

[٦٠] ظ: الدلالة القصدية من ظاهرة التكرار في القرآن: ٨٠

هنا جاء بصيغة مختلفة عن نسق الإخراج في خِطَاب الأقوام المُسْتَكبِرين، فهنا التحذير من الإخراج وهناك المخرجون (النبي وأتباعه) ، وهنا المخرجون هم القوم الظالمون ، وهذا يحيل على المرجعية الفكرية التي يشتمل عليها خِطَاب المُسْتَكبِرين، وهي مرجعية (الملكية) التي تمنحهم السلطة والقوة، فخِطَاب قوم لوط كان مماثلا لهذا الْخِطَاب حين قالوا: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ **[الأعراف:٨٢]** وكذلك خِطَاب قوم شعيب في قوله تعالى: ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا﴾ **[الأعراف:٨٨]**

فهنا جاء أسلوب خِطَاب فرعون محذرا للمخاطبين من أنهما يريدان إخراجهم من أرضهم، ولاسيما إنّ هذا النسق كرر في أكثر من موضع في سورة (طه) المباركة، ففي آية (٥٧) جاء خِطَابهم بهذه الصيغة: قالَ ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾ لكنه جاء بأسلوب المخاطَب المفرد، وقد اجتمع سياقان في هذا الْخِطَاب: (الإخراج والادعاء بالسّحر) لكن الإخراج هنا جاء معكوسا على المخاطِب نفسه إلا أنه يحيل على المرجعية نفسها التي توحد خِطَابات المُسْتَكبِرين.

كما يُلحظ أن في هذه الآية المباركة استعمل المخاطب مفردة : ﴿لَسَاحِرَانِ﴾ بصيغة المثنى، ثم قال ﴿بِسِحْرِهِمَا﴾ ليؤكد صفة السّحر، فتآزرت المفردات الواردة في خِطَاب فرعون: ﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾، إذ نجد الاصوات المستعملة في ﴿لَسَاحِرَانِ ، بِسِحْرِهِمَا ﴾،(ل، س، ح، ر، ا، ن، م ...) إذ تتميز هذه الأصوات بصفة قوة تميزها من غيرها من الأصوات، وهذه الصفة تتمثل، بملمح الوضوح السمعي، فهي تشبه الحركات في قوة وضوحها السمعي، وحرية مرور الهواء معها، فهواء هذه الأصوات يخرج حرًا طليقًا كالحركات تمامًا، ولكنه مع الحركات يخرج من وسط الفم، ومع هذه الأصوات من مواضع نطقية مختلفة؛ فهو، أي الهواء المنتج لها، يخرج من جانبي الفم مع اللام ومن الأنف مع صوتي النون والميم، أما

الراء فهو شبيه بالحركات، لما يوجد عند النّطق به من حرية للهواء بسبب الاتصال والانفصال المكررين ... [٦١].

ومما يقرب هذه الأصوات كذلك كونها جمعت بين الجهر والشدة والانفجار والاحتكاك، وهذه الصفات كلّها جعلتها مقترنة بالنغمة العالية، المتلائمة مع أسلوب التأليب الممتزج بالتهكم الذي استعمله فرعون في خِطَابه، فمن الجدير بالذكر أن فرعون طاغية ومستكبر وظالم ولم يقل: (**يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم**) اعترافا منه لقومه بأنها أرضهم؛ وإنما أراد تأليب العامة على موسى ﷺ فاستعمل ضمير الجماعة، وجعل الأرض ملكا لهم، وهذا الأمر يأتي بلحاظ ما كان يخبر به قومه في خِطَابات أخرى حين يشير إلى ملكه لمصر، إذ جاء في احد خِطَاباته في قوله تعالى: ﴿ **وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ**﴾ **[الحج:٥٢]** فلهجة أسلوب خِطَاب التأليب هذه تقتضي نسقًا ذا إيقاع خاص لا يتلاءم معه إلا مثل هذه الأصوات ذات النغمة المرتفعة ؛ لجذب انتباه المخاطب ، والتأثير فيه.

وهذه الملامح الاسْلُوْبِيّة الصّوتية كُررت في خِطَاب فرعون في موضع آخر في السورة نفسها: ﴿**قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَامُوسَى**﴾**[طه:٥٧]**

فيُلحظ أن الآيات تأتي مكررة في سياق التتابع بين آية وأخرى، مرة في السورة نفسها، ومرة في سور متعددة، مع تعدد المخاطبين، وهذا ما يمنح خِطَاب المُسْتَكبِرين صفة **الخطاب الشمولي وهو: ((قول يسعى إلى تغطية المجال الذي يتعرض له بصفة كلية ، لا تسمح للمتلقي بأن يعارضه في جانب ما))** [٦٢] .

٢) التّكرار بالكلمة:

---

[٦١] علم اللغة العام: ١٣١.

[٦٢] ظ : معجم المصطلحات الاساسية لتحليل الخطاب : ١١٥.

من مستويات التّكرار الصّوتية في اللغة العربية هو تكرار الكلمة او اللفظة لمرات ، وليس المقصود منه مجانسة الألفاظ بعضها لبعض بل تكرار المتشابه بينها، والمشاكلة فيما بينها ، وصولا إلى تقوية الخطاب ، وإيصاله إلى المخاطب من خلال الأثر الذي يتركه فيه، ولهذا قالوا إن ((**هذا الضرب من التّكرار هو الذي يفيد تقوية النغم في الكلام**)) [٦٣]،والتّكرار بالكلمة يتمّ بعدّة وجوه منها: الافعال، والأسماء والحروف...الخ

أ - تكرار الفعل:

(١)﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِين﴾ [هود:٢٧]

ورد في الآية المباركة تكرار صوتي من خلال الفعل المضارع ﴿**نَرَاكَ**﴾ إذْ كرر في الآية ثلاث مرات، وقد جاء بصيغة النفي والاستثناء في أول تكرارين ومسندا إلى الضمير (ك) ﴿**مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا**﴾،﴿**مَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ**﴾، اما الأخير فجاء بصيغة النفي فقط وخاليا من الضمير (ك) (وما نرى)، وهذا التّكرار غايته توكيدية لإشباع المعنى، وحمل سمات أسْلُوبِيّة صوتية ت تمثلت في انتظام الأفعال المكررة في نسق صوتي اجتمعت فيه الحروف المتشابهة والمتقاربة في الصّفات والمخارج (ن، ر، ا، ك) فضلا عن الدال الصّوتي (ما) النافية، فالنون من الأصوات الرنانة الانفجارية، التي تمنح المفردة قوة في النّطق وانسيابية وتجذب السمع فاجتمعت مع الراء، الذي هو حرف تكرار، يتسم بالقوة والشدة والتفخيم، والألف والكاف من الأصوات الشديدة ايضا، هذه الصّفات متواشجة مع بعضها تمنح الْخِطَاب قوة صوتية كبيرة من خلال التوظيف الصّوتي للمفردة، ثم يأتي أُسلوب التّكرار ليرسم صورة صوتية بملامح أسْلُوبِيّة عن طبيعة الْخِطَاب الاسْتِكبَاري الذي يتسم بالغلظة والشدة فقد اجتمع المهموس والمجهور معاً في هذا اللفظ (النون المجهورة، الكاف

---

[٦٣] جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: ٢٣٩.

المهموسة)، فإذا ما عُلم بأن المهموس هو الصوت الذي يظلّ النفس عند النّطق به جارياً لا يعوقه شيء، وأن المجهور هو الصوت الذي يمتنع النفس عن الجريان به عند النّطق أدركنا سر اجتماع الكاف المهموسة والنون المجهورة في هذا اللفظ، وما في ذلك من عسر في اللفظ دالّ على المعنى وغلظته الذي يعكس الْخِطَاب الاسْتِكبَاري، وفي هذا يقول المخزومي: ((**فإذا اجتمع صوت مجهور، وآخر مهموس؛ فقد اجتمع صوتان مختلفان لكلّ منهما طبيعة خاصة، والجمع بين هذين الصّوتين يقتضي عضو النّطق أن يعطي كل صوت منهما حقه، وفي ذلك عسر لا يخفى، فإذا تألفت كلمة وقد تجاور فيها صوتان، أحدهما مجهور، والآخر مهموس، فما يزال أحدهما يؤثر في الآخر حتى يصيرا مجهورين معاً، أو مهموسين معاً**)) [٦٤]. فيُلحظ أن المفردة (نراك) أوحت بالغلظة والشدة التي تعكس رؤية المُسْتَكبِرين في خِطَابهم هذا.

وعلى غرار ذلك ما يوجد في الآيات المباركة :

(١) ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص:٧٦]

(٢) ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩]

(٣) ﴿فَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى ﴾ [القصص : ٤٨]

ففي الآيات الواردة أعلاه أسلوب تكراري ، جاء فيه تكرار (الفعل) متناثرا في آيات الخطاب، فيأتي الفعل نفسه مكررا في آيات مختلفة في الخطاب، مثل تكرار الفعل المجزوم بـ (لن) ، (**لن نؤمن**) كما في الآيات التالية :

(١)﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلاَ بِالَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[سبأ:٣١]

(٢)﴿وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ ﴾[الأنعام:١٢٤]

(٣)﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾[البقرة:٥٥]

---

[٦٤]في النحو العربي، نقد وتوجيه: ٨.

(٤)﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ﴾[الإسراء :٩٢ - ٩٣]

وتكرار (ائت) في الآيات التالية :

(١) ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٧]

(٢) ﴿ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾[يونس:١٥]

(٣) ﴿ أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِين﴾[الجاثية:٢٥]

وكذلك تكرار الفعل (اجئتنا) في الآيات التالية :

(١)﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِين﴾[يونس:٧٨]

(٢)﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِين﴾[الأنبياء:٥٥]

(٣)﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين﴾[الأعراف:٧٠]

والفعل (نرى) في الآيات التالية :

(١) ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِين﴾[هود:٢٧]

(٢) ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾[البقرة:٥٥]

(٣) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلاَئِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا ﴾[الفرقان:٢١]

وقد شكل هذا النوع انحرافا اسلوبيا ، يدل على أن الاستعمال المعروف للتكرار يمثل قاعدة، ثم جاء النوع الآخر (التكرار المتناثر) ليكون حضوره أعلى من الأول ، فيكون بذلك دالاّ على قاعدة وعلى خرق للقاعدة في الآن نفسه، بمعنى أن الأسلوب

هنا شأنه شأن الأساليب الأدبية التي تؤسس لنفسها قاعدة ثم لا تلبث أن تنزاح عن تلك القاعدة هروباً من الرتابة وطمعاً بالتنوع والثراء[٦٥]، وهذا ما حصل مع تكرار الفعل الذي تردد كثيرا على ألسنة المخاطبين (المستكبرين) في آيات وسور مختلفة فمنح الخطاب أثرا صوتيا خاصا ، يمثل مرتكزا افي عملية التوصيل والإبلاغ ، من خلال المتغيرات الصوتية الزاخرة في هذه الأفعال بحسب تكرارها، وفي هذا الإطار يُلحظ أن الاسْلُوْبِيّة الصَّوتِيّة ((**تعتمد على مفهوم المتغيرات الصَّوتِيّة الاسْلُوْبِيّة، وبمقدار ما يكون للّغة حرية التصرف في بعض العناصر الصَّوتِيّة للسلسلة الكلامية نستطيع أن نستخدم هذه العناصر لغايات أسْلُوبِيّة**)) [٦٦]. وبذلك يعمل التكرار متلازماً مع التغيير والنظام والتساوي والتوازن لإنتاج ما يسمى بـ (الإيقاع) الذي يمثل الصورة المجردة من هذه القوانين وهي صورة ندركها ادراكا حسيا مباشراً)) [٦٧].

ب : **تكرار الاسم :**

إن الاسم كما هو معروف في العربية يراد به معنى الثبات والديمومة، وقد جاء تكراره في خِطَابات المُسْتَكبِرين بنسبة قليلة، ومن ذلك ما جاء في الآية الكريمة:**﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾[الفرقان:٦٠]**

إذ كررت لفظة **﴿الرَّحْمَنِ﴾** في الآية الكريمة مرتين، فجاءت اللفظة مكررة على لسان المُسْتَكبِرين وهذا ما يميز خِطَاباتهم التي يعمدون فيها إلى تكرار الْخِطَاب الرسالي الذي أثار حفيظة وجدانهم، ف ((**اللفظ المكرر هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان، فالمتكلم إنما يكرر ما يثير اهتماما عنده وهو يحب في نفس الوقت أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه أو من هم في حكم**

---

[٦٥] ظ : التكرار وعلامات الأسلوب في قصيدة (نشيد الحياة) لأبي قاسم الشابي ، دراسة اسلوبية احصائية : أحمد علي محمد ، مجلة جامعة دمشق ، مج ٢٦، ع ١-٢، ٢٠١٠، ٥٥.

[٦٦] ظ: الأسلوب والأسلوبية: ٦٠.

[٦٧] الأسس الجمالية في النقد العربي: ١٢٠-١٢١.

المخاطبين، ممن يصل إليهم القول)) [٦٨] وهذا ما جاء في خِطَاب المُسْتَكبِرين فتكرارهم لهذه اللفظة بقوة جرسها وصياغة حروفها أضفى سمة أسْلُوبِيّة للنص وأفصح عن دلالة اكتسى بها خِطَابهم وهي دلالة الاسْتِكبَار الممزوجة بالسخرية والاستهزاء من خلال استعمال الاستفهام الاستنكاري الذي جاء في نسق التّكرار.

ج. تكرار الصيغ الاخرى :

تكمن أهمية المستوى الصوتي في الأسْلُوْبِيّة الكامنة في المادة الصَّوتِيّة، ونقول كامنة؛ لأنّ لها تأثيرات صوتية ((**تظل كامنة في اللّغة العادية، حيث تكوّن دلالات الكلّمات التي تتألف منها، والظلال الوجدانية لهذه الكلّمات بمعزل عن قيم الأصوات نفسها، ولكنها تتفجر حيثما يقع التوافق من هذه الناحية**)) [٦٩]، وينبغي التأكيد في هذا السيّاق أنه لا توجد معان جوهرية للأصوات، ولكن المرسِل هو الذي يمنحها إياها، بناءً على التراكم وعلى السياق العام والخاص [٧٠]، وعلى ذلك فإنّ هناك نوعا من التكرار امتاز به خطاب الاستكبار جاء متناثرا في آياته ، تمثلت بالأدوات والحروف والضمائر، كأدوات الاستفهام والنفي والعطف وأسماء الإشارة وحروف الجر وغيرها.

۞ تكرار الضمير :

(١) ﴿قَالُواْ يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِين﴾[هود:٥٣][٧١]

(٢)﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِين﴾ [سبأ:٣٥]

(٣)﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِين﴾[الأعراف:٦٦]

---

[٦٨] التكرير بين المثير والتأثير: ١٣٦.

[٦٩] دليل الدراسات الأسلوبية: ٣٦.

[٧٠] ظ : دينامية النص: تنظير وإنجاز: ٣٦.

[٧١]

(٤)﴿وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيب﴾ **[إبراهيم:٩]**

(٥)﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِين ﴾ **[الشعراء:١٨]**

نرى هنا تكرار الضمير (نحن) في (سورة هود) ، وكذلك في (سورة سبأ)، قد منح النص إيحاء في التعبير، وكان من الممكن الاستغناء عن هذا التّكرار بيد أنه أفاد التأكيد، فيُلحظ أنّ الدّقة في أداء المعنى جاءت من خلال هذا التّكرار، لتقوية الخطاب الدّال على الرفض ، وكذلك ما جاء (سورة الأعراف) فهذه تكرارات مركزة في آية واحدة دون الأخرى، يؤدي فيها الضمير المكرر الوظيفة الصوتية.

والجدير بالذكر هنا أن هذا النوع من التكرار يصطلح عليه في تحليل الخطاب ب **(البدل)** وهو يغطي مختلف الظواهر التي تقوم على تكرار وحدة لغوية ما بأخرى ، ولما كان البدل علاقة لا تناظرية أساسا، فهو يؤدي دورا في الاتساق في أحيان كثيرة ، ويستعمل لفظ (عائد) مرادفا لبدل ، إذ يدل على تكرار وحدة لغوية بأخرى في موضع تال ، والبدل نحويا يكون بواسطة **(تكرار الضمير خاصة)** ، ويكون البدل إما جزئيا أو كليا ، والأول هو الذي يكرر وحدة أصغر من الجملة ، والآخر يكرر وحدة تساوي الجملة تكرارا مركزا ، ودراسة الأبدال لها فائدة جمّة في تحليل الخطاب ، فهي تسمح بالإبانة عن الاختيارات الايدولوجية الضمنية [٧٢] .

وعلى وفق ذلك يؤكد بالي أن المادة الصَّوتِيّة تكمن فيها إمكانات تعبيرية هائلة، فالأصوات وتوافقاتها، والإيقاع وكثافة التكرار ، كلها تتضمن بمادتها طاقة تعبيرية فذَّة، ويساهم طول الكلمات وقصرها في الإيماء إلى معناها إيماء طبيعيًا، وكذلك الأمر في توزيع الكلمات داخل الجملة، فترتيب عناصرها يضفي على الكلام حدثًا أُسلوبيا [٧٣]. بمعنى أن الصوت إذْا كان مقطوعا مجردًا عن السياق يعيش في عزلة دلالية، ولكن سرعان ما تتشكل دلالته بعقد قرانه – على يدي المبدع– فيصبح

---

[٧٢] ظ : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب : ٥١.

[٧٣] ظ: الأسلوبية والنقد الأدبي: ٦.

صوتا آخر في السياق الذي يولد فيه ، إثر ربط هذه الأصوات بعضها ببعض وربط المعاني بعضها ببعض [٧٤].

فضلا عن تكرار الضمير بأسلوب متناثر في خطاب المستكبرين، إذ زخرت الآيات به ، فجاء منوعا بين المتصل والمنفصل ، وبين المتكلم والمخاطب والغائب، ومثّل ضمير المتكلمين المتصل (نا) الدّال على الجمع ، الحضور الأعلى باستعمال الصيغ المختلفة : في آيات خطاب الاستكبار ، وشاركه الحضور ضمير المخاطب (ك) ، إذ تمثل حضورهما بما يزيد على العشرين موضعا. وهذا الحضور العالي لكلا الضميرين يؤشر الانسجام بين اسلوبية التكرار ودلالة خطاب الاستكبار، فالمستكبر يستعمل الضمير الدال على العظمة الموحي بالانفعال والقوة ، وهو ضمير المتكلمين (نا) بإزاء ضمير المخاطب (ك)، استعلاء وتكبرا في توجيه الخطاب، فاقتضى السياق المقامي أن يزخر الخطاب بهذا الأسلوب فعمل على إظهار الفكرة المركزية الكامنة في الخطاب من خلال الأثر الصوتي الذي تمنحه هذه الضمائر للخطاب ، ولم يخلُ الخطاب من أنواع الضمائر الأخرى (المتصلة والمنفصلة ، لكن حضورها كان أقل من التي سبق ذكرها ، فجاء تكرار الضمير متنوعا ليناسب الخطاب على وفق معناه المقصود ، وبحسب جاكبسون ، تنبثق **الوظيفة الإخبارية** في نصٍ ما بالتركيز على إسناد الفعل إلى الغائب ، والوظيفة **الوعظية** بالاعتماد على ضمير المخاطب ، **والانفعالية** بإظهار ضمير المتكلم [٧٥]، وهذا ما تجلى أسلوبيا في خطاب الاستكبار بحسب مبدأ الاختيار والتوزيع الذي ترتكز عليه الأسلوبية .

يُلحظ أنّ تكرار الضمير في الآيات التي حملت خِطَاب المُسْتَكبِرين جاء مؤكدا للمعنى لإثارة المخاطب من خلال تعظيم الْخِطَاب وتوكيده بتكرار هذه الضمائر

---

[٧٤] ظ: خصائص الأسلوب في الشوقيات: ٥٩.

[٧٥] ظ : قضايا الشعرية : ٢٨-٣٠.

فأعطى التّكرار دفقا دلاليا عبّر عن المعنى الذي جاءت من أجله الآية، لا سيما أنّ هذه الضمائر جاءت زاخرة بالأصوات ذات الدلالة القوية التي منحت الْخِطَاب مزية القوة من خلال تكرار صوت النون (الرنانة) وهي من الاصوات الانفجارية فجاء هذا الصوت مهيمنا على أسْلُوبِيّة التّكرار في هذه الضمائر فضلا عن الاصوات المؤازرة لها مثل صوت الكاف والألف والحاء فتآلفت جميع هذه الاصوات لتكون اداة صوتية تمنح الْخِطَاب إيقاعا ذا بعد دلالي.

ولابدّ من الإشارة هنا إلى بعض الأدوات والحروف التي وردت مكررة في خطاب الاستكبار ، مرة تكرارا مركزا في آية واحدة ، ومرة تكرارا متناثرا، لكن تكرارها لم يشكل نسبة كبيرة بل كان حضورها متواضعا بإزاء حضور الضمائر ، وسنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : ((ما) الاستفهامية والموصولة والمصدرية ، (من) الاستفهامية والموصولة ، حروف الجر، أو ، بل ، حتى

، ...الخ).

ومن الايات التي وردت فيها تلك الصيغ :

(١)﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِين﴾[الشعراء:١٨]

(٢)﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِين[يونس:٧٨]

(٣)﴿قَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِين﴾[القصص:٣٨]

بعد هذه الوقفة مع مستويات التكرار في خطاب الاستكبار يستنتج أن القوة التعبيرية للكلمة المنفردة لا تتأتى من معناها وحده بل من طبيعة تمظهرها الصوتي (التكراري) ، وهذا التمظهر يأخذ صوراً صوتية إيقاعية (تكرارية) متعددة، تنسجم مع انعكاساتها الدلالية الظاهرة منها والكامنة ، فإيقاع التكرار مرتبط دائماً بالمعنى والمحتوى، إذ عمل هذا التكرار على إظهار الفكرة المركزية في خطاب المستكبرين

التـي تجلّـت بسـياقات اسـلوبية متنوعـة بحسـب مـواطن التكـرار، فظهـرت لنـا أنسـاق خطابيـة تكررت فـي سياق التتابع بين آيـة وأخرى ، تبين من خلالها الأثر الانفعالي الصـوتي الكاشـف عـن الحالـة الشـعورية (الانفعاليـة) للمسـتكبرين ، ممـا أسـهم فـي تعضيد فكرة أنّ التكرار مدعاته نفسية، يستعمله المخاطب بسبب مبعث نفسي، وهذا بحـد ذاتـه يعـد مؤشـرا اسـلوبيا مهمـا يتصـل بجـوهر الاسـتكبار الـذي ينطـوي عليـه الخطاب ، فجاء التكرار أحيانا متناثرا في آيات الخطاب ، ومركزا أحيانا أخر.

ومـن خـلال اسـتعمال الصـيغ المتنوعـة بـين الضـمائر والأدوات والحـروف ، حققت حركـة الضـمائر المتنوعـة أثرا صـوتيا ، مرة من خـلال حركـة الضـمير وحده ، ومرة بأسناد الفعل إليه (المتصل والمنفصل) ، فأسهم ذلك في إثراء الأداء الأسلوبي الصـوتي ، وأسـبغ علـى الخطـاب انسـجاما مـن حيـث معـدلات التوزيـع والاختيـار فـي الآيـات المباركـة مـن جهـة أخـرى . ومـن المعـروف أن مجيـئ الخطـاب علـى وتيـرة واحدة يدلّ علـى الفتور والضـعف، فيفتقر إلـى عنصري القوة والتأثير، لذلك يلحظ أن هذا التنوع فـي مستويات التكرار مثّل سمة اسلوبية ايجابيـة فـي الخطـاب ابعدتـه عن الفتور والضعف.

المبحث الثاني

المستويات الخار

أولاً: الفاصلة القرآنية

تحقق الفاصلة القرآنية أثرا ظاهرا في بناء المكون الصّوتي للخطاب القرآني؛ بفضل التنظيم الدقيق للأصوات، واتساقها بشكل يظهر معانيها جلية، ومن يتأمل الفواصل القرآنية يجدها قد ((**وفرّتْ للقرآن نَظْماً موسيقياً فريداً، وامتدّ تأثيرها إلى بناء الجملة القرآنية بناءً نحوياً خاصاً قد يفترق عن البناء الأصولي لجملة العربية في نحو النحاة، بل امتدّ تأثير الفواصل إلى بناء الكلمة كذلك**)) [٧٦]

و في الفاصلة القرآنية خلافا بين القدماء ، فهي عند **الزركشي والسيوطي** آخر كلمة في الآية كقافية الشعر وقرينة السجع في النثر، خلافا **لأبي عمرو الداني** الذي عدّها كلمة آخر الجملة [٧٧] .

وعرّفت الفاصلة القرآنية بأنها: ((**حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني**)) [٧٨]. وتقع الفاصلة عند الاستراحة بالْخِطَاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام، وتسمّى فواصل؛لأن ينفصل عندها الكلامان، وذلك أنها تفصل الآية التي تقع فيها عما بعدها [٧٩]. وقد تكون هذه التسمية اقتباساً من قوله تعالى: **﴿كتاب فصلت آياته﴾ [هود: ١]**، ولا يجوز تسميتها

---

[٧٦] من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم: ٩٣.

[٧٧] ظ: البرهان في علوم القرآن: ١|٥٣.

[٧٨] النكت في إعجاز القرآن: ٨٩.

[٧٩] البرهان في علوم القرآن : ١/ ٥٤.

قوافي إجماعاً؛ لأن الله لما سلب عن القرآن اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضاً لأنها منه، وخاصة في الاصطلاح [٨٠].

وتقسم الفاصلة على أقسام هي [٨١]: **(المطرف، والمتوازي، والمرصع، والمتوازن، والمتماثل).**

أولا: المتماثل والمتقارب من الحروف [٨٢]:

المتماثل: وهو ما تماثل حروفه في المقطع، وتسمى المتجانسة أو ذات المناسبة التامة كما في قوله تعالى: ﴿ وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۝٢ ﴾ [الطور:١-٤] فهنا جاءت الفواصل محققة الاستلزام، وهو أن تلتزم حرفا أو أكثر قبل الفاصلة، وهو الطاء والواو قبل الراء.

١. **المتقارب:** وهو ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل، وتسمى ذات المناسبة غير التامة، مثل قوله تعالى: **﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾. [ق:١٢]**

ثانيا: المتوازي والمتوازن والمطرف:

وهذا تقسيم علماء البديع إذ يقول الرماني: **((... الفواصل بلاغة، وهي تابعة للمعاني... وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة))** [٨٣]. وفيه تقسم الفواصل على:

١. **المتوازي:** وهو أشرف أنواع الفواصل، حيث تتفق الكلمتان في الوزن وفي حرف الفاصلة.

---

[٨٠] ظ: الاتقان في علوم القرآن: ٣|٢٩٢.

[٨١] ظ: الاتقان في علوم القرآن: ٢ / ٩٦٢ . الجرس والإيقاع في التعبير القرآني: ٣٥٣.

(٨٢) ظ : م. ن : ٣٥٣.

[٨٣] النكت في إعجاز القرآن: ٩٧: ٩٨.

٢. **المتوازن:** وهو أن يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط، أي متفقة في الوزن دون حروف القافية. وهذا النوع في القرآن كثير خاصة في سور المفصّل. [٨٤]

٣. **المطرف:** وهو أن تختلف الفاصلتان في الوزن وتتفقان في الحرف الاخير [٨٥].

ومن استعمال الفاصلة في خِطَاب الاسْتِكبَار نلمح لها أُسلوبا صوتيا امتاز بتنوعه بين الفواصل القصيرة والمتوسطة؛ ومرجع ذلك هو مناسبة الْخِطَاب لتلك الفواصل **((فقد كانوا قوما جبابرة تسود بينهم المنكرات والعادات السيئة والاخلاق الفاسدة))** [٨٦]. فجاء خِطَابهم حادا، تقصر معه الجمل ويظهر فيها التجانس الصّوتي، وترتبط هذه السمات الصّوتية للخِطَاب الاسْتِكبَاري بقوة التعبير على المستوى الأُسلوبي، إذْ يكثر في خِطَابهم أُسلوب القسم والاستفهام الإنكاري، والتحذير والوعيد والتهديد والاتهام بالباطل، فشكلت ظواهر أسْلُوبِيّة صوتية في سياق الْخِطَاب القرآني، فيورد السّياق فواصل مختلفة لكنها تشكل مستوى صوتيا واحدا متناسقا ومنسجما فيمنح الْخِطَاب دلالة أسْلُوبِيّة، وهذا الملحظ الأُسلوبي يمثل غاية الدقة في التعبير القرآني.

والمتأمل في فواصل الآيات لخِطَابات المُسْتَكبِرين يجد أن صوت النون هو الصوت المهيمن على تلك الفواصل، وهذا الصوت له مزية سمعية تجلت من خلال الألفاظ التي حوت هذا الصوت فصوت النون هو صوت **((مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة ففي النّطق به يندفع الهواء من الرئتين محركا الوترين الصّوتيين ثم يتخذ مجراه في الحلق أولا، حتى إذا وصل إلى الحلق هبط أقصى الحنك الأعلى فيسد بهبوطه فتحة الفم ويشرب الهواء من التجويف الأنفي محدثا في مروره نوعا من الحفيف لا يكاد يسمع))** [٨٧] ، ومن هنا نرى هذا الصوت قد اكتسى وضوحا

---

[٨٤] ظ : البرهان: ١ / ١١٤.

[٨٥] الاتقان في علوم القرآن: ٣ / ٢٠٤.

[٨٦] من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم: ٨٨.

[٨٧] الأصوات اللغوية: ٦٦.

سمعيا عاليا ساعده في ذلك كونه مسبوقا بحروف المد (الياء، الواو) في أغلب الفواصل فأضفى جوا من الوضوح الدلالي الذي أكدّ بوضوح خِطَاب المُسْتَكبِرين فجاء معبرا عن المعنى الاستكباري الذي حاول النص القرآني إيصاله إلى المتلقي ، ذاهبا إلى أن خطاب الاستكبار بقدر ما يضم معانٍ استكبارية ، فإنه يستعين بقيم صوتية لإيصال هذه المعاني، والتعبير عنها .

ومن الفواصل القرآنية التي وردت فيها النون ما جاء في قوله تعالى :

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف:٧٥- ٧٦]

فنرى ان الفاصلة في هذا الْخِطَاب جاءت من النوع المتماثل، إذ تماثل حروفها في المقطع، فجاءت متجانسة، حيث جاءت الفواصل محققة الاستلزام، فالتزمت حرفا واحدا قبل الفاصلة وهو حرف الواو في الفاصلتين **﴿مُؤْمِنُون ، كَافِرُون﴾** ، وهي أيضا يمكن عدّها من الفاصلة المتوازية التي هي أشرف انواع الفواصل إذ اتفقت الفاصلة في الوزن وفي حرف الفاصلة وهذا ما تحقق في فاصلتي هذا الْخِطَاب فجاءتا متوازيتين.

وأيضا من الفواصل الواردة في خِطَاب المُسْتَكبِرين: قوله تعالى : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:٣٤-٣٥]** ، ونوع الفاصلة هنا جاءت من النوع **المطرّف** حيث اتفقت في الحرف الأخير واختلفت في الوزن ،إذ تضمنت الآية المباركة خِطَابين الأوّل انتهى بالفاصلة **﴿كَافِرُون﴾** والثاني انتهى بالفاصلة **﴿بِمُعَذَّبِين﴾** فيُلحظ عدول السّياق القرآني فلم يقل في الفاصلة الأخيرة (وما نحن معذبون) بل قال **﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾** ثم تستمر الآيات وفواصلها تنتهي (بالواو والنون) على نسق **﴿كَافِرُون﴾** حتى نصل قوله تعالى: **﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ**

الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [سبأ:٤٣] حيث تنتهي فاصلتها على نسق **(بمعذبين)**، لا سيما ان هذه الآيات قد سُبقت بخِطَاب استكباري في آية (٣١) ، **﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾**، إذ يُلحظ هنا في سورة سبأ جاءت خِطَابات المُسْتكبِرين على نسق منتظم من الفواصل التي تسمى (المطرّف) وقد ناسبت مقام الْخِطَاب فضلا عن ذلك نجد أن هذه الفواصل كونت نسقا صوتيا ملائما لخِطَاب المُسْتَكبِرين وهم في مقام الرفض والتعالي، إذ انتهت خِطَاباتهم في هذه السورة بحرف النون **(مؤمنين، كافرون، مبين، معذبين)** و**النون** من الأصوات **الأنفية الرنانة** ذات **الجرس العالي** في اللغة العربية، وهو جرس يستلّذه السمع بما يشكله من صور سمعية تتساوق مع النغمة التي جرسها من جوهر **الغُنّة**، وهي وعنصر رئيس من عناصر بيان المعنى فإذا كانت الكلمة مكونة من حروف قوية الإسماع حسن جرسها)) [٨٨]، ولذا، فإن الأصوات الأنفية تعد مجهورة، وقوة هذه الأصوات ناتجة من اجتماع ملمحي الغّنة والجهر فيها.

وقد كثُر في القرآن الكريم ختم الفواصل بحروف المد واللّين، وإلحاق النون وفق الطّبيعة الإيقاعية للقرآن، ولذلك كان ورود **النون** بعد حروف المد كثيرا في الخطاب ، مبينا عن السر الصوتي المتجلي في جزء كبير في فواصل الآيات القرآنية، يقول **مصطفى صادق الرافعي** في هذا الشأن : **((وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى...وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها أو بالمد وهو كذلك طبيعي في القرآن))[٨٩].**

---

[٨٨] قراءة جديدة لتراثنا النقدي: مقال' موقف النقد العربي التراثي من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية. ٢/ ٧٨٦

[٨٩] اعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ١٥٠.

ومن المواضع التي وردت فيها النون مقترنة بحروف المد الواو:

(١) ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢]

(٢) ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُون ﴾ [الأعراف:٩٠]

(٣) ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٣]

(٤) ﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُون﴾[الزخرف:٥٨]

(٥) ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّى أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّى لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِين﴾[القصص:٣٨]

(٦)﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاء الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُون﴾[المؤمنون:٣٣]

(٧) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُون﴾[المائدة:١٠٤]

ومن أمثلة ورود النون مقترنة بالياء ما يأتي :

(١) ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِين﴾[الأعراف:٦٦]

(٢) ﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين﴾[الأعراف:٧٠]

(٣) ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٤]

(٤) ﴿ حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين﴾[الأنعام:٢٥]

(٥) ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِين﴾[سبأ:٤٣]

(٦) ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِين﴾[الزخرف:٥٢]

(٧) ﴿فَلَوْلاَ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلاَئِكَةُ مُقْتَرِنِين﴾[الزخرف:٥٣]

(٨) ﴿ مَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِين﴾[هود:٢٧]

ولا يغفل البحث رأي **أبي عمرو الداني** الذي عدّ الفاصلة كلمة آخر الجملة ، ونفهم من رأيه هذا أنّ الفاصلة تتحدد بنهاية المعنى وليس بنهاية الآية، فقد ينتهي المعنى عند آخر الآية وهو الغالب في القرآن، على وفق ذلك نجد خطاب الاستكبار قد توافر على هذا النوع ، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٣٤﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴿٣٤﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴿٣٤﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٣٤﴾﴾ **[الأسراء: ٩٠ - ٩٣].**

عند التأمل في الآيات يلحظ أن أضرب الفواصل هنا قد تنوعت في نهاية كل آية، فمنها ما وقف فيها عند نهاية الجملة، كما في الألفاظ **﴿كِسَفًا﴾ ﴿زُخْرُفٍ﴾ ﴿نَّقْرَؤُهُ ﴾** ، ومنها ما وقف فيها عند نهاية كل آية، كما في الألفاظ **﴿يَنبُوعًا، تَفْجِيرًا، قَبِيلًا، زُخْرُفٍ، رَّسُولًا، كِسَفًا﴾** ،وسيتم التركيز على توضيح الملامح الاسْلُوْبِيّة للفواصل القرآنية؛ لأنها تساعد في جلاء الأداء الذي تؤديه الفاصلة القرآنية سواء أكانت بالوقف عند نهاية الجملة أو عند نهاية الآية ؛ لما يتحقق فيها من

أنساق صوتية تلائم دلالة الْخِطَاب وتكشف أُسلوبيته، فيُلحظ أن البناء الصّوتي لهذه الفواصل جاء محكما فلا نحسّ فيها بكلمة تضيق بمكانها أو تنبو عن موضعها [٩٠]، فجاءت ممكنة في مكانها مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما، بحيث لو طرحت اختل واضطرب الفهم[٩١] . فضلا عن ذلك فإن النظام الصّوتي الإيقاعي جاء منسجما شديد الوضوح فجاءت الفواصل منتظمة في المدّ و التنوين: ﴿**يَنبُوعًا، تَفْجِيرًا، قَبِيلًا، زُخْرُفٍ، رَّسُولًا، كِسَفًا**﴾ وهذه هي طبيعة الإيقاع وفي هذا يقول **سيبويه: ((أما إذا ترنموا – أي العرب – فإنهم يلحقون الألف والواو والياء؛ ما ينوّن وما لا ينوّن، لأنهم أرادوا مد الصوت))** [٩٢].

ومن المقومات الاسْلُوْبِيّة التي يُلحظها في هذه الفواصل هو تناسبها مع مقام خِطَاب المُسْتَكبِرين من خلال استعمال أصوات لغوية تنسجم مع طبيعة خِطَاب المُسْتَكبِرين المتسّم بالشدة والقوة فجاءت الأصوات مجهورة قوية انفجارية تجسّد حالة الرفض والنكران والعناد المصاحب لطلبهم، وبالنظر لمعاني هذه الألفاظ سنجد أنّها تشكل أداءً صوتياً يستحضرُ حالة المُسْتَكبِرين، ويوضح أسْلُوبِيّة خِطَابهم إذْ من المعروف أن شخصية المُسْتَكبِرين قوية وطاغية ومتجبرة وعنيدة ، تتسم بالغضب والثوران والعناد، وهذا ما كشفته دلالة الفواصل القرآنية المتجسدة بأصوات تحمل هذه الصّفات **فـ ((الْيَنْبُوعُ مَفْعُولٌ مِنَ النَّبْعِ وَهُوَ عَيْنٌ تَفُورُ بِالْمَاءِ))** [٩٣] وهذا المعنى جاء متناسبا مع صيغة الفعل (تفجر) **((والتفجير: مصدر فجر بالتشديد مبالغة في الفجر، وهو الشق باتساع. ومنه سمي فجر الصباح فجرا لأن الضوء يشق الظلمة شقا طويلا عريضا، فالتفجير أشد من مطلق الفجر وهو تشقيق شديد باعتبار اتساعه.**

---

[٩٠] ظ : من بلاغة القرآن: ١٠٥.

[٩١] ظ : البرهان في علوم القرآن: ١/ ٧٩.

[٩٢] الكتاب: ٢ / ٢٩٨.

[٩٣] البحر المحيط: ٧/ ٩٦.

ولـذلك ناسـب الينبـوع))[٩٤] ففوران الماء في الينبوع ينسجم مع حالة المُسْتَكبِرين المضطربة غير المستقرة، و **((الْكِسَفُ الْقِطَعُ وَاحِدُهَا كِسْفَةٌ، تَقُولُ الْعَـرَبُ: كَسَـفْتُ الثَّوْبَ وَنَحْوَهُ قَطَعْتُهُ))** [٩٥] فالوقف عند **(كسـف)** يمنح الْخِطَاب هذا البعد الصّوتي الزاخـر بالأصـوات القويـة **(ك، س، ف)** فالكـاف مـن الأصـوات الشـديدة الانفجاريـة الجهورة، والسين من أصوات الصّفير، والصّفير ملمح قوة في الأصوات وهو صفة من صفات الأصوات الاحتكاكية الرخوة التي يتم إنتاجها **((بحدوث تضيق أخـدودي والجزء الخلفي من حافة اللثة وعند النّطـق بهـا يتصـلُ أولُ اللسـان، بأصـول الثنايـا، بحيث يكون بينهما فراغٌ صغير جدا، ولكنه كاف لمرور الهواء، فنسمع ذلك الصّفير الذي نعـبر عنـه بالسـين، والـزاي))** [٩٦]، وهذا ما يمنح الْخِطَاب القوة التي يحاول المُسْتَكبِرون إظهارها في خِطَاباتهم ليرعبوا المخاطَب ويشعروه بأنّهم لا يمكن قهرهم ولا يرضـخون لمـا يـدعون إليـه، وهـذا يمثل فكرهم ومرجعياتهم الناشئة من اغترارهم واعتزازهم بالقوة الظاهرة التي تمنحها لهم السلطة والتي أدت بهم إلى هذا الاسْتِكبَار.

فضـلا عن بـاقي الألفاظ الزاخرة بالإمكانـات الصّـوتية الدالـة علـى الاسْـتِكبَار فجـاءت حججهـم السـتّ متسّـمة بأُسـلوب تعجيـزي قـوي يضـمر العنـاد والـرفض والاستعلاء؛ فأدت الفاصلة القرآنية مستوى صوتيا دالا موصولا بالقصد المعبّر من خلال انفعال الْخِطَاب؛ بتقارب الأصوات في الفواصل وتشابهها في الشدّة والانفجار والجهر وباقي الصّفات والمميزات الصّوتية.

ممـا سـبق نخلـص إلـى أن الاسْـلُوْبِيّة الصّـوتية فـي الفاصـلة القرآنيـة جسـدتْ السّمات الاسْلُوْبِيّة للخِطَاب الاسْتِكبَاري وبيّنته وأظهرته **((ومـا هـذه الفواصـل التـي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بهـا جمـل الموسـيقى، وهـي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقًا عجيبًا يلائم نوع الصوت والوجه الـذي يُسـاق**

---

(٩٤) التحرير والتنوير: ٣٠٢/٨

(٩٥) البحر المحيط: ٩٦/٧

[٩٦] الأصوات اللغوية. ٢٤.

عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب)) [٩٧]، فجعلت الكلام يفصح عن المعنى من ظاهر اللفظ **((انطلاقا من أن حركية: المبنى – المعنى هي ما ينتج تلك السمات))** [٩٨]، فجاء الْخِطَاب حاملا لوظائف تعبيرية كاشفة عن السمات الاسْلُوْبِيّة.

ثانيا : التنغيم :

يُعَدّ **إبراهيم أنيس** أول من أدخل مصطلح التنغيم في الدّراسات اللّغوية العربية المعاصرة، وسماه **(موسيقى الكلام)** ، فيقول : **((إنّ الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد، تختلف في درجة الصوت وكذلك الكلمات قد تختلف فيها .... ويمكن أن نسمي نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية))** [٩٩].

والملاحظ أن إبراهيم أنيس أخذ مصطلح التنغيم من اللسانيات التي ترى التنغيم هو أحد سمات الأداء الذي لابد من وجوده في أي لغة ، فهو مصطلح صوتي دال على الارتفاع (الصعود) وانخفاض (الهبوط) قي درجة (الجهر) في الكلام ، هذا التغيير في (الدرجة) يرجع إلى التغيير في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين ،هذه الذبذبة التي تحدث (نغمة) موسيقية ، ولذلك فالتنغيم يدلّ على العنصر الموسيقي في الكلام[١٠٠] . ويقول تمام حسان في تعريف التنغيم **((ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام))** [١٠١] ، و يتم التنويع في أداء الكلام بحسب المقام المقُول فيه . فكما أنّ لكل مقام مقالا فكذلك لكل مقال طريقة في أدائه تناسب المقام الذي اقتضاه [١٠٢] وإن

---

[٩٧] تاريخ آداب العرب: ٢ / ١٤٣.

[٩٨] الأسلوبية بوصفها مناهج: ١٤٤.

[٩٩] ظ : الأصوات اللغوية : ١٧٦.

[١٠٠] ظ : علم اللغة (مقدمة للقارىء العربي) : ٢١٠.

[١٠١] مناهج البحث في اللغة : ١٦٤.

[١٠٢] ظ : المختصر في أصوات اللغة العربية : ١٧٧.

التأثير الصوتي من أهم المداخل إلى النفس البشرية[١٠٣] ، اذ إنّ هناك ميلاً غريزياً لدى الإنسان إلى الكلام ذي الجرس الموسيقي[١٠٤] .

وتشير إحدى **الدراسات المعاصرة** إلى أهمية هذا المصطلح الصوتي وصعوبة دراسته إذ جاء فيها : **((قد تكون دراسة التنغيم مجازفة ، وهذا ما يراه الدرس اللغوي الحديث ، ولكنها فيما أرى تظل مجازفة ممتعة وضرورية، فأما متعتها فمستمدة من أن رائدها البحث والاستكشاف فيما أحجم عنه الدارسون، و أما ضرورتها فلأن التنغيم أحد أهم عناصر السياق، ومن دونه يظل البحث عن دلالة التراكيب اللغوية المنطوقة متأرجحا))** [١٠٥] .

وفي القرآن الكريم يؤدي التنغيم أثرا صوتيا مهما على مستوى الإيقاع الخارجي، يرتبط بالأداء الخطابي فيكشف تجلياته الأسلوبية ويوضح مقاصدها ، و يؤدي كذلك وظيفة دلالية تكمن في الكشف عن المعنى، من خلال الأهمية الكبيرة التي يؤديها في الإفصاح عنه[١٠٦].

وخطاب الاستكبار له أثر أدائي واضح على مستوى التنغيم الصوتي، بحسب ما تقتضيه قصدية المخاطب من إقناع ومحاججة وإنكار وتهديد ، فالناظر في آيات الخطاب يجد أنّها مشتملة على حضور غزير لنغمات الصعود والهبوط على وفق التمظهرات الصوتية المتجلية في الخطاب ، كالاستفهام أو الأمر أو الإخبار أو النداء ،التي تستدعي نغما معينا يصاحب الخطاب أثناء توجيهه للمخاطب ، وسيضع البحث يده على هذا المستوى الصوتي المهم لبيان أثره الأسلوبي في الخطاب على مستوى الإيقاع الخارجي ، من خلال تتبع آياته، وعلى وفق رأي الدكتور تمام حسان بأن الأنماط التنغيمية بالنظر إلى شكل النغمة المنبورة الأخيرة –

---

[١٠٣] ظ : موسيقى الشعر : ١١.

[١٠٤] ظ : اللغة والمجتمع : ١٤٤.

[١٠٥] أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغيّة لعلم المعاني : د. مزاحم مطر حسين ، مجلة القادسيّة في الآداب والعلوم التربوية، مج ٦،ع٣-٤، ٢٠٠٧،٣٩.

[١٠٦] ظ : الدلالة الصوتية في القرآن الكريم : ١٨٠.

أي بالنسبة إلى نهاية النغمة وصفتها من الارتفاع والانخفاض - فإنها تنقسم على قسمين :

۞ **النغمة الصاعدة (الثابتة)** : وهي تتصف بالصعود في نهايتها.

۞ **النغمة الهابطة** : وهي تتصف بالهبوط في نهايتها. [١٠٧]

١- التنغيم الصاعد :

يستدعي خطاب الاستكبار اسلوبا يتّسم بالقوة ، تصحبه نغمة تهديد، شديدة وعالية ؛ ليؤدي من خلالها اغراضا خطابية بحسب السياق الذي يرد فيه ، وهذا ما يتجلى عند النظر في آيات الخطاب الاستكباري ، فيبدأ بنغمة صاعدة (مرتفعة) حين يكون السياق استفهاميا ؛ ولأن الاستفهام الاستكباري يكون في الغالب مجازيا؛ فالنغمة معه تبدأ صاعدة ثم تتدرج بالهبوط لتحقيق قصد المخاطب وهذا ما يبدو جليا في الآية الكريمة : ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾[الصافات:٣٦]. فسؤال المخاطب هنا إنكاري مشوب بالسخرية والاستهزاء ، دال على رفضهم ترك آلهتهم، فـ ((**أَتَوْا بِالنَّفْيِ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ إِظْهَارًا لِكَوْنِ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمر مُنكر لَا يَطْمَعُ فِي قَبُولِهِمْ إِيَّاهُ، تَحْذِيرًا لِمَنْ يَسْمَعُ مَقَالَتَهُمْ مِنْ أَنْ يَجُولَ فِي خَاطِرِهِ تَأَمُّلٌ فِي قَول الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَقَوَّوْا هَذَا التَّحْذِيرَ بِجَعْلِ حَرْفِ الْإِنْكَارِ مُسَلَّطًا على الْجُمْلَة الموكّدة بِحَرْفِ التَّوْكِيدِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ إِذَا أَتَوْا مَا أَنْكَرُوهُ كَانُوا قَدْ تَحَقَّقَ تَرْكُهُمْ آلِهَتَهِمْ تَنْزِيلًا لِبَعْضِ الْمُخَاطَبِينَ مَنْزِلَةَ مَنْ يَشُكُّ فِي أَنّ الْإِيمَانَ بِتَوْحِيدِ الْإِلَهِ يُفْضِي إِلَى تَرْكِ آلِهَتِهِمْ لِيَسُدُّوا عَلَى الْمُخَاطَبِينَ مَنَافِذَ التَّرَدُّدِ أَنْ يَتَطَرَّقَ مِنْهَا إِلَى خَوَاطِرِهِمْ**)) [١٠٨].

وبلحاظ أثر التنغيم في هذه الآية المباركة نجده تنغيما صاعدا متّسماً بالصّرامة والشّدّة ، أسهم في خروج الاستفهام إلى معنى الإنكار والنفي ، وهذا النوع من التنغيم يحتاج فيه المخاطب إلى أسلوب القوة و التوكيد فجاء زاخرا بالمؤكدات

---

[١٠٧] ظ : مناهج البحث في اللغة :١٩٨-١٩٩.

[١٠٨] التحرير والتنوير : ٢٣/ ١٠٨.

التي منحت الخطاب إيقاعا تنغيميا قويا ثم بدأ تدريجيا بالهبوط وانخفضت النغمة مع اقتراب المخاطب من إظهار السخرية والاستهزاء ليكون أكثر استعلاء واستكبارا وهذا ما تؤكده الآية السابقة لهذا الخطاب : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يسْتَكْبِرُون﴾ [الصافات:٣٥] .

وعلى هذا النسق من التنغيم الصاعد تمضي بقية آيات الخطاب المشتملة على الاستفهام والتي تتطلب حضور هذا التنغيم حتى يظهر الأثر الصوتي على مستوى الإيقاع الخارجي المصحوب بالكشف عن المعاني المتوخاة من الخطاب .

ومن الأساليب الاخرى التي يؤدي فيها التنغيم أثرا صوتيا مرتفعا (صاعدا) على مستوى الإيقاع الخارجي للخطاب، هو **تنغيم النداء** الذي يتطلب المدّ المصحوب بالانفعال التعبيري ، مما يستدعي استعمال خطاب ذا تنغيما مرتفع (صاعد) ، يؤدي من خلاله قيمة استبدالية ، تعبّر عن قصدية الخطاب ويُراعى فيها مقتضى الحال ، ويأتي النداء غالبا في أوّل الخطاب ولذلك يمثل قيمة تعبيرية مهمة تتكون من النغمية والحِدّة والشِّدّة والمد والطول وهي تمثل أعلى نغمة تعبيرية قياسا بالنغمات المتوالية معها في الخطاب نفسه ، ومنه ماجاء في قوله تعالى : **﴿وَقَالُواْ يَاأَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُون﴾[الحجر:٦]** ، الخطاب في الآية المباركة يتصدره النداء الذي يحمل صوتا تنغيميا صاعدا ، فهو ينسجم مع خواص التنغيم المتوافر عليها كالمدة والطول ، مما يمنح الخطاب قوة وشدة من خلال درجته الصوتية، فاستعمل المخاطب هنا حرف النداء (يا) المتصف بالمدة الطويلة فيستفز السمع ويدفع المخاطَب باتجاه القصد المطلوب ، ويحمله عليه بنوع من الصرامة وهذا كلّه يؤدى بنغم صاعد ، لكنه يبدا تدريجيا بالانخفاض (الهبوط) ، لأن التعبير الذي يلي النداء دال على السخرية والاستهزاء من خلال اتهامه بالجنون ، فيبدأ بالهبوط ليتناسب مع سياق الخطاب ؛ **فـ ((النِّدَاءُ فِي يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ لِلتَّشْهِيرِ بِالْوَصْفِ الْمُنَادَى بِهِ، وَاخْتِيَارُ الْمَوْصُولِيَّةِ لِمَا فِي الصِّلَةِ مِنَ الْمَعْنَى الَّذِي**

جَعَلُوهُ سَبَبَ التَّهَكُّمِ. وَقَرِينَةُ التَّهَكُّمِ قَوْلُهُمْ: إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ. وَقَدْ أَرَادُوا الِاسْتِهْزَاءَ))[١٠٩]

من ذلك يتضح سبب تغيير النغمة من الصعود إلى الهبوط ؛ عندما يخرج النداء عن غرضه الحقيقي ؛ ويعزى ذلك إلى غاية مهمة هي الرسالة التواصلية بين (المتخاطبين) والتي تتم على أكمل وجه ، من خلال مؤداها الصوتي في الخطاب بهذا الأسلوب الغاية في الدقة .

ومن خطاب المستكبرين ذي التنغيم الصاعد ، خطاب فرعون المستكبر في الآية الكريمة :﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّى أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّى لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِين﴾[القصص:٣٨] إذ لكي يتجلى الاستكبار في خطاب فرعون وبأشدّ حالاته ، لابدّ من حضور تلك النغمة المرتفعة المتسّمة بالتسلط والصّرامة ، وهو ينادي قومه بأداة النداء (يا) المستعملة في التنبيه والمبالغة والتأكيد[١١٠] ، وهذا النداء جاء مقرونا باسلوب الأمر المستعلي ذي الأثر التعبيري العميق، فأسهم في إيصال معنى العظمة والتكبر، والملاحظ في هذا الخطاب أنّ النغمة (الصاعدة) تستمر حتى نهاية الخطاب لتلائم الأسلوب الذي يلي النداء وهو الأمر المقرون بالنداء المكرر، في قوله : ﴿فَأَوْقِدْ لِى﴾ ﴿يَاهَامَانُ﴾ ﴿فَاجْعَل لِّى صَرْحًا﴾،والناظر في الخطاب يجده خطابا قويا غليظا يتسم بالغضب ؛ فناسبته تلك النّغمة الصّاعدة واستمرت حتى نهايته .

٢- التنغيم الهابط :

بالرغم من أنّ خطاب الاستكبار خطاب يستلزم القوة والشدة والارتفاع الصوتي ، إلا أنّه لم يخل من الخطاب ذي التنغيم الهابط (المنخفض) ، بل أنّ هذا الاسلوب في الاستعمال القرآني يدفع الخطاب باتجاه تذويب الإمكانات الصوتية

---

[١٠٩] التحرير والتنوير : ١٦/١٤.

[١١٠] ظ : البلاغة العربية : ٢٤٣/١.

العالية والتدرج من النغمة المرتفعة إلى المنخفضة فتنتج اسلوبية خارجة عن المألوف، وهذا من مزايا اسلوبية الخطاب في القرآن الكريم ، وهذا المستوى من التنغيم الصوتي غالبا ما نجده في الأساليب الخطابية الخبرية، إذ يستلزم الخطاب من المخاطب أن يستعمل نغمة منخفضة ويبتعد عن العلو الصوتي؛ لأن ذلك يحقق دلالة الخطاب على الوجه الأتم ، ومن أهم المواضع التي ورد فيها الخطاب منخفض النغمة ما جاء في سياق محاورة فرعون المستكبر لقومه ، فبالرغم من أن خطابه استكباري ويستعلي فيه على قومه ويظهر عظمته وجبروته ، إلا أنّه لم يرد مرتفع النغمة وحتى عندما يرد ملمح العلو الصوتي، فإنه سرعان ما يأخذ بالهبوط ، كما في الآية الكريمة :﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُون** ﴾ **[الزخرف:٥١]**، فالناظر في الآية الكريمة يجد أنّها تتضمن الأسلوب الاستفهامي التقريري في بداية الخطاب ونهايته في قوله : ﴿ **أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُون** ﴾ فالاستفهام في ﴿ **أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ** ﴾،﴿**أَفَلاَ تُبْصِرُون**﴾، بالرغم من أنّ الخطاب بدأ بالنداء باستعمال (يا) النداء الطويلة ، إلا أنه سرعان ما تُلي بالاسفهام التقريري وانتهى به ليأخذ النمط الصوتي المنخفض ، ليناسب سياق الخطاب فهو لا يريد أن يظهر غضبه الشديد وانفعاله القوي خوفا من استجابة الجمهور لدعوة موسى عليه السلام ، فاستعمل هذا الأسلوب الخطابي المتوافر على الباء والتاء الانفجاريين والصاد الصفيري و الراء التكراري والواو الممدود والنون الرنانة ، فأظهرت الاستعلاء وجيء بالاستفهام التقريري ليخفف قوة الخطاب لاسيما أنّ هذه الأصوات بهذه الصفات هي التي تنسجم مع سياقات خطاب الاستكبار ، ومع ذلك نجد أنها حين استعملت في سياق التقرير خففت من الشدة والحدة فجاءت النغمة معها منخفضة .

ومن الآيات التي تضمنت تنغيما صوتيا منخفضا ما جاء في قوله تعالى :

(١) ﴿**وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ** ﴾ **[القمر : ٢]** .

(٢) ﴿**وَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ** ﴾ **[الزخرف :٣٠]**

(٣) ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِر﴾[القمر:٩]

(٤) ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُون﴾[القلم:٥١]

(٥) ﴿إِنَّ هَؤُلاَء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُون﴾[الشعراء:٥٤]

(٦) ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَايِظُون ﴾ [الشعراء:٥٥]

إن هذه الآيات الكريمة تضمنت أسلوبا خبريا يستدعي نغما صوتيا هابطا ، ولا يقصد به أن يكون الخطاب خاليا من القوة والغلظة التي يتسم بها عادة خطاب الاستكبار، لكنها تكون مع الخبر أقل من الأساليب الأخرى ، لذلك نجد الخطاب يستعين بالمؤكدات في بعض المواضع ، لأن المستكبر مجبول على الغلظة والتسلط في خطابه فلا يغادر هذه السّمة ، لكن السياق الذي ورد فيه الخطاب لا يتمّ المعنى المتوخى منه دون اللّجوء إلى هذا الأسلوب الذي يخفف من قوة التنغيم فيتبين مقصود المخاطب بحسب السياقات المحيطة به . ففي قولهم : ﴿ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾جاء الخطاب في إطار التنكير فاستعمل التنوين **(الغنة)** الناتجة عن الإدغام الحاصل بين (الراء والميم) وهو إدغام ناقص ، وصوت الغنة يمنح الخطاب تنغيما خاصا ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَؤُلاَء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُون﴾ ، ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَايِظُون ﴾

يلحظ أنّ الخطاب يتضمن تنغيما منخفضا ينسجم مع مقصد الخطاب ، فالخطاب جاء ضمن محاورة قوم فرعون الذين حشرهم لينادوا في الناس ويتبعوا اثر موسى وقومه ،﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ حَاشِرِينَ﴾ أَيْ لَمَّا خَرَجَ بَنُو إِسْرَائِيلَ خَشِيَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَنْتَشِرُوا فِي مَدَائِنِ مِصْرَ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ شُرَطًا يَحْشُرُونَ النَّاسَ لِيَلْحَقُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَيَرُدُّوهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ قَاعِدَةِ الْمُلْكِ)) [١١١] ، فالسياق لم يستلزم النغمة الصاعدة، لذلك نجده استعاض عن ذلك باستعمال المؤكدات **(أنّ) و (اللام) ،** لتأكيد الخطاب وتقويته ، فجاءت الآيات تحمل اسلوبا خبريا مؤكدا **، ذا نغمة منخفضة تامة تتوقف عند صوت حرفي المد (الواو ، والنون)، فضلا عن تعاضد الحروف المكونة لألفاظ هذا الخطاب ، إذ نجد أصوات الشين والغين والظاء والذال والهاء مع أحرف**

---

[١١١] التحرير والتنوير : ١٢٩/١٩.

الفصل الثالث

المستوى الاسلوبي التركيبيّ

المبحث الأول : الأساليب التركيبية

المبحث الثاني : الانزياح التركيبي

الذلاقة (ل ، ن،ر) ، في الآيتين :﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُون﴾ ، ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُون ﴾، فاجتماع هذه الأصوات الانفجارية أسهم في منح الخطاب قوة، لكن ختامه (بالواو والنون) ، ومجيئه في هذا السياق خفف وطأة القوة ومنح الخطاب نغما منخفضا ، فالخطاب لم يوجه إلى موسى وقومه ، بل هو خطاب غير مباشر فالمستكبر عليه (موسى وقومه) غير حاضرين ، لكن الخطاب تضمن معنى الاستكبار والاستحقار ، إذ **((فِي اسْمِ الْإِشَارَةِ إِيمَاءٌ إِلَى تَحْقِيرٍ لِشَأْنِهِمْ أَكَّدَهُ التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُمْ شِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ))** [١١٢].

وهكذا تتوالى سياقات التنغيم المنخفض في خطاب الاستكبار كما في هذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر ، وهي آيات تنسجم والتوصيف النغميّ الذي سبقت الإشارة إليه فيما تقدم :

(١) ﴿وَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [الزخرف :٣٠]

(٢) ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِر﴾[القمر:٩]

(٣) ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُون﴾[القلم:٥١]

المبحث ألأول

الأساليب ا ة

أولا : أسلوب الخبر :

يعمد المستكبر إلى استعمال الأسلوب الخبري في خطاباته ؛ لأنه يمثل أحد أهم أدواته الخطابية التي يتحرك بها باتجاه إثبات سلطته وقوته ، ونفي ما للآخر من حق وإنكاره ، والتمسك بالأنا العليا ، هذه الدوافع النفسية يضمرها المستكبر في خطاباته ، فيبثها ضمنا أو تلميحا بصيغة خبرية، فيتجلى لنا أسلوبيا في أغراضه

---

[١١٢] التحرير والتوير : ١٩ / ١٣٠.

البلاغية ، لاسيما أن المعنى الاصطلاحي البلاغي للخبر قد أُخذ من المعنى اللّغوي له ، **(الْخَاءُ وَالْبَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ: فَالْأَوَّلُ الْخُبْرُ: الْعِلْمُ بِالشَّيْءِ** [١١٣]**، فالخَبَرُ، بِالتَّحْرِيكِ: وَاحِدُ الأَخْبَار. والخَبَرُ: مَا أَتاك مِنْ نَبإٍ عَمَّنْ تَسْتَخْبِرُ... واسْتَخْبَرَه: سأَله عَنِ الخَبَرِ وَطَلَبَ أَن يُخْبِرَهُ؛ وَيُقَالُ: تَخَبَّرْتُ الخَبرَ واسْتَخْبَرْتُه ، وتَخَبَّرْتُ الْجَوَابَ واسْتَخْبَرْتُه. والاسْتِخْبارُ والتَّخَبُّرُ: السُّؤَالُ عَنِ الخَبَرِ...؛ يُقَالُ: تَخَبَّرَ الخَبَرَ واسْتَخْبَرَ إِذا سأَل عَنِ الأَخْبَارِ لِيَعْرِفَهَا**[١١٤].وقد ورد الخبر مقابل الاستفهام[١١٥] . ونقل ابن فارس عن اهل اللغة انهم **((لا يقولون في الخبر اكثر من أنه إعلام))** [١١٦] ، و**((الاعلام كما في قولهم : الصدق هو الخبر عن الشيء على ما هو به))**[١١٧] **((وقد اختلف الناس في حد الخبر ، فقيل : لا يحد لعسره ، وقيل : لأنه ضروري لان الانسان يفرق بين الانشاء والخبر ضرورة))** [١١٨] . **وأطلق لفظ الخبر عند أهل البيان والأصوليين والمنطقيين والمتكلّمين وغيرهم على الكلام التّام الغير الإنشائي** [١١٩]**،**

فـ ((ذهب النظام (٢٢١هـ) إلى أنّ الصدق ما يوافق الاعتقاد (اعتقاد المتكلم) ، والكذب ما خالف الاعتقاد ، وإن تنافيا مع الواقع ... اما الجاحظ (٢٥٥هـ) فقسم الخبر إلى أقسام ثلاثة : فهناك خبر صادق وهناك خبر كاذب ، وثالث لا يوصف بالصدق ولا الكذب ، فالصادق ما طابق الواقع والاعتقاد معا . والكاذب ما خالف

---

[١١٣] ظ : مقاييس اللغة : (خبر) ٢/٢٣٩.

[١١٤] ظ : لسان العرب : (خ ، ب ، ر) ، ٤/ ٢٢٦-٢٢٧.

[١١٥] ظ : الكتاب ، سيبويه : ١/١١٩ ، ١٣٤ .

[١١٦] الصاحبي في فقه اللغة / ١٧٩ .

[١١٧] كشاف اصطلاحات الفنون : ١/٤١٠ .

[١١٨] الاتقان : ٢/١٦٤ .

[١١٩] ظ : كشاف اصطلاحات الفنون : ١/ ٧٣٥.

الواقع والاعتقاد معا ، اما ما طابق الواقع وخالف الاعتقاد (والعكس) ، يقول الجاحظ : هذا لا نسميه صدقا ولا كذبا)) [١٢٠] .

وقد أكد البلاغيون على أنّ الخبر هو الأصل **((فهو الذي يتصور بالصور الكثيرة وتقع فيه الصناعات العجيبة ، وفيه يكون الأعم والمزايا التي يقع بها التفاضل في الفصاحة))** [١٢١] .

ثم توسع البلاغيون[١٢٢] في بيان المعنى الاصطلاحي البلاغي للخبر إذ يربط **القزويني** الخبر بما يكون لنسبته خارج تطابقه أولا تطابقه[١٢٣] ، وفي الطراز تبيانا وافيا لمعنى الخبر التركيبي ، إذ جاء فيه : **((والغرض بالتركيب لإفادة الإفهام فنقول: القول المفهم لا يخلو حاله إما أن يكون مفيدا للمعانى الطلبية أو لغيرها فإن أفاد معنى طلبيا فإما أن يكون طلب استعلام أو طلب تحصيل، ... ، وإن أفاد غير الطلب فإمّا أن يحتمل الصدق والكذب، أو لا يحتمل، فإن احتملهما فهو الخبر، فإن طابق مخبره فهو الصدق، وإن لم يكن مطابقا لمخبره فهو الكذب))** [١٢٤]، ويذكر **التهانوي** في كشافه أنه عند أهل العربية يطلق الخبر على الكلام الذي لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه. وقد يطلق على إلقاء هذا الكلام وهو فعل المتكلّم أي الكشف والإعلام وهذا ظاهر[١٢٥].

تأسيسا على ذلك فالخبر كل كلام يحتمل الصدق أو الكذب لذاته، وله نسبتان :نسبة كلامية تفهم من الخبر، ونسبة خارجية تفهم من واقع الخبر[١٢٦]، وهوما لا

---

[١٢٠] البلاغة فنونها وافنانها ، د. فضل حسن عباس / ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ .

[١٢١] دلائل الاعجاز / ٤٠٦ .

[١٢٢] ظ : مفتاح العلوم : ١٦٦/١. المطول : ١٧٢، الحاشية على المطول : ٥٠-٥٣.

[١٢٣] ظ : الإيضاح في علوم البلاغة : ١ / ٥٦.

[١٢٤] الطراز : ٢٦/١.

[١٢٥] كشاف اصطلاحات الفنون : ١/ ١١٤.

[١٢٦] ظ : جواهر البلاغة : ٣٥.

يتوقف تحقق مدلوله على النطق به[١٢٧] ، وهذا هو المقصود بتعريف البلاغيين للخبر ، بأنّه ما صح أن يقال لقائله أنه صادق فيه أو كاذب [١٢٨] ؛ لأنّ صدقه هو مطابقة حكمه للواقع وكذبه عدم مطابقة حكمه للواقع[١٢٩].

وهذا ما ثبت واستقر عليه في معجم البلاغة العربية : الخبر هو إفادة المخاطب أمرا في ماض من زمان أو مستقبل أو دائم وهو كل قول أفدت به مستمعه ما لم يكن عنده [١٣٠].

وخلاصة القول : إنّ الخبر كل كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته ، وهذا التعريف يصدق على كل كلام يؤخذ من غير النظر إلى قائله[١٣١] .

يلحظ مما ورد أن مدار تعريفات الخبر قد ركزت على كون المتكلم صادقا أو كاذبا، وعلى مطابقة الواقع والاعتقاد لكلامه ،ومسألة التصديق والتكذيب هذه أوجدت تفاوتا في مراعاة أحوال المخاطبين ، لذا نجد ما ورد عند علماء البلاغة من تقسيم للخبر اعتمد على توجيه التراكيب بحسب استعداد المخاطَب (المتلقي) وحاجته إلى فهم الدلائل ؛ ذلك لأن الجملة الخبرية ، أما أن تكون خالية من التأكيد أو مؤكدة

وعلى وفق ذلك يجعل السكاكي الخبر ثلاثة أضرب :

- أولها : الابتدائي : وهو ما يستغنى عن مؤكدات الحكم ويُلقى إلى من هو خالي الذهن عما يُلقى إليه .
- وثانيها : الطلبي :وهو الخبر الذي يتردد المخاطب في قبوله، ولا يعرف مدى صحته، فعندئذ نؤكد الكلام بمؤكد واحد، لنزيل عنه الشك ونمحو التردد.

---

[١٢٧] ظ : علوم البلاغة : ٤٣.

[١٢٨] ظ : م . ن : ٤٢.

[١٢٩] ظ : الإيضاح : ٦٠/١.

[١٣٠] ظ : معجم البلاغة العربية : ١٨٩.

[١٣١] ظ: نحو المعاني : ١١٨ .

- وثالثها : الإنكاري : وهو الخبر الذي ينكره المخاطب إنكارا يحتاج إلى أن يؤكد بأكثر من مؤكد .و ذلك إذا ألقاها إلى حاكم فيها بخلافه؛ ليرده إلى حكم نفسه ، استوجب حكمه ليترجح تأكيدا بحسب ما أُشرِب المخالف الإنكار في اعتقاده[١٣٢] .

ولكن الخبر كثيراً ما يخرج على خلاف مقتضى الظاهر ، من ذلك :

- أن ينزل غير السائل منزلة السائل اذا قدم اليه ما يلوح له بحكم الخبر فيكون كالمتردد .
- أن ينزل غير المنكر منزلة المنكر إذا ظهر شيء عليه من أمارات الإنكار.
- أن ينزل المنكر منزلة غير المنكر إذا كان معه ما أن تأمله ارتدع عن الانكار[١٣٣] .

أما عن غرض الخبر فالقصد منه إفادة المخاطب[١٣٤] وهو الأصل ، ويلقى لغرضين [١٣٥] :

١. إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو العبارة، ويسمى ذلك الحكم فائدة الخبر.
٢. إفادة المخاطب بالحكم، ويسمى ذلك لازم الفائدة أن المتكلم عالم.

لكنه قد يخرج على خلاف مقتضى الظاهر ، فيفيد معاني مجازية تفهم من السياق وقرائن الأحوال ، وهذه المعاني التي يحتملها لفظ الخبر كثيرة فمنها : التعجب ، والتمني ، والانكار ، والنفي والامر والنهي ، والتعظيم والدعاء ، والوعد والوعيد ، والتبكيت ، ربما كان اللفظ خبرا والمعنى شرطاً وجزاء . فضلا عن ذلك نجد خروج الخبر عن مقتضى الظاهر هو ما تبعث منه المعاني الثانية ، وهي ذات

---

[١٣٢] ظ: مفتاح العلوم : ١٦٦/١. المطول : ١٧٢، الحاشية على المطول : ٥٠-٥٣. ظ : معجم المصطلحات البلاغية : ٤٨٠-٤٩٠.

[١٣٣] ظ : م . ن : ٨٢ .

[١٣٤] ظ: الاتقان : ٢: ١٦٥ .

[١٣٥] ظ : مفتاح العلوم : ١٦٦، الإيضاح : ١٣. علم المعاني : ٥٠.

طرائق متعددة فمنها: اظهار الضعف، والاسترحام ، و تحريك الهمة ، والتحسر والاسف ، والمدح والفخر ، والتوبيخ والتحذير ، وإظهار الفرح والشماتة ، والتذكير بين المراتب ، والوعظ ، والعتاب ، والتعريض والسخرية ، والالهاب[١٣٦] .

وهذه الأغراض ما هي إلا تنوع في **((خروج هذه الاساليب من دلالتها الوضعية لتعبر عن معان أخرى تشعُّ من خلال السياق ... وطبيعي لها أن تتعدد لأنها مرتبطة بالسياقات المتباينة التي ترد فيها))**[١٣٧] .

التراكيب الخبرية في خطاب الاستكبار:

تضمنت آيات خطاب الاستكبار العديد من التراكيب الخبرية وبأساليب كثيرة بحسب ما يقتضيه المقام، وما يقصد إيصاله المخاطب (المستكبر) إلى (المستكبر عليه)، والتراكيب الخبرية الواردة في آيات الخطاب ، والتي سيضع البحث يده عليها ، تكشف عن مضان مضمرة في الخطاب ، عمد إليها المستكبر ليمنح خطابه قوة في الطرح، وتأثيرا في المتلقي؛ ليضمن لنفسه البقاء على تسلطه وتجبره؛ فاستعمل حينا جملا فعلية مثبتة أو منفية وأحيانا أخرى جملا اسمية مثبتة أو منفية ، يعمد إلى توكيد بعضها ويجرد بعضها الآخر من التوكيدات . وعلى ضوء ذلك سنبحث في آيات الخطاب ما يتصل بهذه الأساليب.

١. الخبر المثبت (الابتدائي) :

وهو ما يستغنى فيه عن مؤكدات الحكم ، ويُلقى إلى من هو خالي الذهن عما يلقى إليه[١٣٨]. ويفيد التركيب الخبري الإثبات إذا كانت جملة الخبر مثبتة ومجردة من وسائل النفي والتوكيد . وورد هذا الأسلوب في آيات خطاب الاستكبار وسنشير إلى نمذج منها :

---

[١٣٦] ينظر: المعاني الثانية : ٩٦ ، ٩٧ ، والبلاغة فنونها وافنانها : ٦٦ .

[١٣٧] نحو منهج جديد في البلاغة والنقد : ٦٢ .

[١٣٨] معجم المصطلحات البلاغية : ٤٨٠.

(١)﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[الأعراف:١٢]

(٢)﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[الكهف:٣٤]

(٣)فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ النمل١٣]

(٤)﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر:٢]

(٥)﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[النازعات:٢٤]

بالنظر في الآيات الخبرية الواردة، يتبين أنها جاءت في سياق مثبت وخال من المؤكدات ، وللوهلة الأولى يظهر أن المخاطِب يريد ان يخبر المخاطَب بما تضمنه الخبر من فائدة ، وعلى وفق ما ذكره البلاغيون من أنّ الخبر الابتدائي يُلقى للمخاطب خالي الذهن بالحكم فسيتبادر للأذهان أن متلقي الخبر خالي الذهن مما سيُلقى إليه .

ولكن في خطاب المستكبرين نجد الأمر على خلاف ذلك ، وهذا ما ستوضحه لنا الآيات ، ففي الآية المباركة : ﴿ **قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾**[الأعراف:١٢]**، فالناظر في الآية المباركة يجد أنّ خطاب إبليس جاء جوابا عن سؤال صادر من الله تعالى ، ولكن الله تعالى يعلم السبب الذي منعه من السجود ، إلا انه استفهم من أجل توبيخ إبليس ((**وَمَا لِلاسْتِفْهَامِ، وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ ظَاهِرُهُ حَقِيقِيٌّ، وَمَشُوبٌ بِتَوْبِيخٍ، وَالْمَقْصُودُ مِنَ الِاسْتِفْهَامِ إِظْهَارُ مَقْصِدِ إِبْلِيسَ لِلْمَلَائِكَةِ**)) [١٣٩]، فجاء رد أبليس مثبتا خاليا من المؤكدات مستعملا ضمير المتكلم (أنا) لإفادة الثبوت وتعظيم نفسه ، واستخفافا بالله تعالى ؛ إذ إن المخاطب حين يريد إظهار الاهتمام بما سيخبر به فإنه يستعمل اسلوبا مؤكدا يظهر من خلاله اهتمامه بالمخاطب ، وحين يكون مستخفا به ولا يبالي بخطابه فإن الخبر يأتي من دون مؤكدات ؛ إلا أن خطاب إبليس جاء غاية في الاستكبار والاستعلاء على آدم ،بقوله

---

[١٣٩] التحرير والتنوير : ٨ / ٣٩.

(خلقتني من نار وخلقته من طين) ، فاستعمل لازمة مهمة من لوازم الاستكبار ألا وهي (الخيرية) بتفضيل نفسه على آدم وتعصبه لجنسه ، إذ يرى أن النار خير من الطين، ((**وَاسْتَنَدَ فِي تَفْضِيلِ نَفْسِهِ إِلَى فَضِيلَةِ الْعُنْصُرِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ عَلَى الْعُنْصُرِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ آدَمُ**)) [١٤٠].

ونظير ذلك ما جاء في خطاب صاحب الجنتين : ﴿**وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾[الكهف:٣٤] ،

فالتركيب الخبري في الآية الكريمة مثبت خالي من التوكيد ، وهو لم يقصد من الخطاب أن يخبر صاحبه بما لديه من مال وعز، بل أراد أن يستكبر عليه ويبين أنه أفضل منه فاستعمل أحد لوازم الاستكبار وهو (الخيرية) واقترنت هذه اللازمة بلازمة وركيزة أخرى من ركائز الاستكبار ألا وهي التفاخر **بالأموال** والأولاد ، إذ المقصود هنا بقوله : ((﴿ **وَأَعَزُّ نَفَراً** ﴾ **يعني أنصاراً وحشماً . وقيل : أولاداً ذكوراً**)) [١٤١] و ((**وأَعَزُّ أَشَدُّ عِزَّةً. وَالْعِزَّةُ: ضِدُّ الذُّلِّ. وَهِيَ كَثْرَةُ عَدَدِ عَشِيرَةِ الرَّجُلِ وَشَجَاعَتِهِ**)) [١٤٢]. كما فعل غيره من المستكبرين ، إذ جاء في هذا المعنى قوله تعالى ﴿**أَفَرَأَيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا**﴾**[مريم:٧٧]** ، فضلا عن ذلك فالمخاطب ليس خالي الذهن من الحكم ، وهذا ما أشار إليه البلاغيون في خروج الخبر عن مقتضى الظاهر لأغراض مجازية تجسدت هنا في تعظيم نفسه واستكباره وتفاخره على صاحبه بما رزقه الله من مال ، إذ جاء الخطاب في سياق المحاورة بينهما ، إذ ((**أَنَّ صَاحِبَهُ قَدْ وَعَظَهُ فِي الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَرَاجَعَهُ الْكَلَامَ بِالْفَخْرِ عَلَيْهِ وَالتَّطَاوُلِ شَأْنَ أهل الغطرسة والنقائص أَنْ يَعْدِلُوا عَنِ الْمُجَادَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَى إِظْهَارِ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ**)) [١٤٣].

---

[١٤٠] م . ن : ٨ / ٤١.

[١٤١] الكشاف : ١٢/٤.

[١٤٢] التحرير والتنوير : ١٥/ ٣٢٠.

[١٤٣] التحرير والتنوير : ٣٢٠/١٥.

الخبر (الطلبي) :

وهو الخبر الذي يتردد المخاطب في قبوله، ولا يعرف مدى صحته، فعندئذ يؤكد الكلام بمؤكد واحد، لإزالة الشك ومحو التردد. وقد توافر خطاب الاستكبار على هذا النوع من الخبر الذي يقصد به المستكبر الإنكار وتكذيب الآخر ونفي ما يدعو إليه كما في الآيات التالية :

(١) ﴿وَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [الزخرف٣٠]

(٢) ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾[مريم:٧٧]

(٣)﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِين﴾[المؤمنون:٣٨]

(٤) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُون﴾[سبأ:٣٤]

(٥) ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِى آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٧٦]

(٦) ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]

يلحظ في هذه الآيات ان خطاب الاستكبار جاء في سياق إخباري كشف عنه النسق التركيبي المكون لهذا الخطاب ، ففي قوله تعالى : **﴿وَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (الزخرف٣٠)** ، جاء خطابهم الإخباري مؤكدا بأداة التوكيد (إن) ، بعد أن اتهموا ما جاءهم بالسحر ، وأرادوا الإخبار بأنهم لا يؤمنون به فأكدوا قولهم : **﴿ إنا به كافرون﴾** ، مما يوحي بأن المخاطَب أراد أن يعرف هل هم مؤمنون بما جاءهم به أو هم كافرون ؛ لأن استعمال أداة التوكيد(إن) يؤدي معنى بلاغيا يراد به (تنزيل غير السائل منزلة السائل)، وهو من معاني الخبر التي يخرج إليها بخلاف مقتضى الظاهر ، وهو ما تبعث عليه المعاني الثانية المتوخاة من هذا الخطاب ، فالمستكبرون قصدوا في هذا الخطاب اتهام ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآاله وسلم بالسحر ، وهذا يؤدي إلى التكذيب والتشكيك به ومن ثم أكدوا أنهم يكفرون به ؛ وهذا التأكيد لازم ؛لإثبات قولهم وإزالة الشك عن الرسول ؛ لانه ربما يحاول إقناعهم بالإيمان بما يدعوهم إليه ولكي يزيلوا هذا الشك أو التردد من المخاطب أكدوا الخبر ، ((**وقَالُوا: هَذَا سِحْرٌ فَلَا نَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَقَالُوا إِنَّا بِهِ، أَيْ بِالْقُرْآنِ،**

كَافِرُونَ، أَيْ سَوَاءَ كَانَ سِحْرًا أَمْ غَيْرَهُ، أَيْ فَرَضُوا أَنَّهُ سِحْرٌ ثُمَّ ارْتَقَوْا فَقَالُوا إِنَّا بِهِ كَافِرُونَ، أَيْ كَافِرُونَ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سَوَاءً كَانَ سِحْرًا أَمْ شِعْرًا أَمْ أَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ. وَلِهَذَا الْمَعْنَى أَكَّدُوا الْخَبَرَ بِحَرْفِ التَّأْكِيدِ ليؤيسوا الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِيمَانهم بِهِ)) (١٤٤).

وهذا الأسلوب الخبري في خطابهم يمثل أداء أسلوبيا مهما في خطابات المستكبرين إذ نجد نظيره في الآية المباركة :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُون﴾[سبأ:٣٤] ،وأيضا نجد نظيره في قوله تعالى : **﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِى آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٧٦] ،**

هذه الآية المباركة ورد فيها خطاب المستكبرين في سياق المحاورة والتخاطب بين قوم صالح المستضعفين وقومه المستكبرين الكافرين **((وَمُرَاجَعَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بِقَوْلِهِمْ: إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كافِرُونَ تَدُلُّ عَلَى تَصَلُّبِهِمْ فِي كُفْرِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ فِيهِ، إِذْ صِيغَ كَلَامُهُمْ بِالْجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ الْمُؤَكَّدَةِ ، وَالْمَوْصُولُ))** (١٤٥) من ذلك يتضح أن المستكبرين يعمدون إلى توكيد الخبر؛ لأن ذلك يؤدي معنى آخرا غير الإخبار ، فضلا عن ذلك نجد أن هذا الأسلوب المؤكد يمنح خطابهم قوة وغلظة يحاولون من خلالها التأثير في المتلقي وإظهار قوتهم وإصرارهم على الكفر .

الخبر الإنكاري :

هذا النوع من الخبر يلقى إلى المخاطب الذي ينكره إنكارا يحتاج إلى أن يؤكد بأكثر من مؤكد ، ويمثل هذا النوع من الخبر الحضور الأعلى بين أنواع الخبر في خطاب الاستكبار، ذلك أنّ المستكبرين يبغون من وراء هذا الخطاب ، تأكيد عنادهم وإنكارهم ورفضهم دعوة الأنبياء والرسل فينزلون المخاطب منزلة المنكر، ويحاولون إقناعه بشتى الأساليب ، فيستعملون أكثر من مؤكد في خطابهم ، وهم يقصدون من ذلك أغراضا أخرى سنبينها في الآيات التالية :

---

(١٤٤) التحرير والتنوير : ٢٥ / ١٩٩.

(١٤٥) التحرير والتنوير : ٨/ ٢٢٣.

(١)﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِين﴾[الأعراف:٦٦]

(٢)﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِين﴾[الأعراف:٨٨]

(٣) ﴿وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُون﴾[الأعراف:٩٠]

(٤) ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٤]

(٥) ﴿قَالُواْ يَاشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيز﴾[هود:٩١]

(٦) ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِين﴾[هود:٢٧]

المتأمل في هذه الآيات يجد أنّها قد ورد فيها مؤكدات كثيرة : (أنّ ، اللام ، الضمير ، نونا التوكيد ...الخ) وهذه المؤكدات لها أثر أسلوبي في الخطاب تجلى من خلاله الاستكبار في أشد حالاته ، فاستعملها المخاطِب لأداء أغراض بلاغية مجازية ، القصد منها إظهار استضعاف المخاطَب ، ففي الآية الكريمة : ﴿قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيز﴾[هود:٩١] ، في هذا الموطن جاء الخطاب زاخرا بالمؤكدات ، التي منحت السياق المقامي قوة وثباتا ، فبدأ الخطاب ب (أن) التي تنزل غير السائل منزلة السائل ، ثم جاءت اللام المقترنة بصيغة المضارعة التي تدل على التجدد والاستمرار فمنحت المخاطب مبالغة في تنزيله منزلة المنكر وأنه يجهل أنّهم يعلمون ذلك فيه ، ثم استعمل التقديم والتأخير في المفعول به ومتعلقه فجاء الجار والمجرور (فينا) متقدما على المفعول به (ضعيفا) ، ثم تأتي اللام المؤكدة المقترنة بالفعل المضارع مرة اخرى ، فضلا عن الصيغ الأخرى في الخطاب ، فاجتمعت هذه القرائن

التركيبية وتضافرت مع بعضها لتمنح الخطاب اسلوبية تركيبية عكست ظلالها على المعنى المتوخى من هذا الخطاب ألا وهو استضعاف الآخر ومباهتته ، والتعريض به ، إذ إنّ ((**مُرَادُهُمْ مِنْ هَذَا يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَصْدَ الْمُبَاهَتَةِ**)) (١٤٦) فـ ((**مَعْنَى وَما أَنْتَ عَلَيْنا بِعَزِيزٍ أَنَّكَ لَا يُعْجِزُنَا قَتْلُكَ وَلَا يَشْتَدُّ عَلَى نُفُوسِنَا، أَيْ لِأَنَّكَ هَيِّنٌ عَلَيْنَا وَمُحَقَّرٌ عِنْدَنَا وَلَيْسَ لَكَ مَنْ يَنْصُرُكَ مِنَّا**)) [١٤٧]. وهذا الأسلوب غاية في الاستكبار والتعظم .

ثانيا : اسلوب الأمر:

تعددت تعريفات أسلوب الأمر في البلاغة العربية[١٤٨] ، وهي على تنوعها تتفق على كونه طلبا لِلفِعْلِ على طريق الاستعلاء ، الذي يستدعي خروج كل من الالتماس والدعاء من صياغته ، وهو يتم بدالّة من دوال أربعة منتجة له ، تنوب كل منها مناب الأخرى في طلب أي فعل من الأفعال على وجه الاستعلاء والإلزام[١٤٩] وهي:

أ. **فعل الأمر.**

---

[١٤٦] التحرير والتنوير : ١٢/ ١٤٨.

[١٤٧] ظ : م . ن : ١٢/١٥٠.

[١٤٨] الأمر نقيض النَّهي وهو صيغة تستدعى الفعل، أو قول ينبىء عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الآمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه أو يوجه الأمر إليه، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا. ظ : الطراز : ٣ / ١٥٥،ويذكر السيوطي في الإتقان : من أقسام الإنشاء الأمر ؛ وهو طلب فعل غير كفٍّ ، وصيغته : افعل وليفعل. ظ : الإتقان : ١٥٨. ويعرّفه البلاغيون المحدثون أنه : طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ، أوطلب تحقيق شيء مادي أو معنوي ، وهو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء ، حيث يكون من الأعلى إلى الأدنى ، فالأعلى يطلب ممن هو دونه حول الفعل وتحقيقه ويبعثه عليه ويحثّ . ظ : علم المعاني : ٧٥، معجم المصطلحات البلاغية: ١٨٤، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، ١٧٣ ، علم المعاني : ٣٥٥-٣٥٦.

(١٤٩) ظ : علم المعاني: ٧٥-٧٦ ؛ البلاغة العربية : ١٧٣.

الفصل الرابع

المستوى الدلالي

المبحث الاول: الخِطاب الحِجَاجي

المبحث الثاني: الخِطاب القصصي

ب. المضارع المقرون بلام الأمر .

ت. اسم فعل الأمر .

ث. **المصدر النائب عن فعل الأمر .**

وقد تواتر ذكر هذه الصيغ في كتب البلاغة ، وفصّل في بيانها علماء البلاغة ولكي يدلّ الامر على معناه الأصلي (الحقيقي) ينبغي أن تتوفر فيه ثلاثة أمور

دلالة الأسلوب الحِجَاجي في خِطَاب الاسْتِكبَار

أولا: دلالة الأساليب البَلاغيّة:

إن الفعالية الحِجَاجية بعدّها فعالية **خِطَابية ((لا تظهر وتتجسم لغوياً إلّا بمهارات أسْلُوبِيّة وتأثيرات بَلاغيّة، وهذه العوامل تخضع للشروط الإبداعية والابتكارية بوصفها متطلبات جمالية وألبسة يتلّبسها مسار الحِجَاج وعلاقاته الداخلية، فالأساليب ومهارات البيان والتبيين تقوي الحجج وتزيد من فاعليتها، أي تعمل لصالح التأثير والإقناع، لذلك يمكن النظر إليها بوصفها ظواهر أدبية وخِطَابية قائمة بذاتها، كما يمكن النظر إليها في علاقاتها بأدوارها الحِجَاجية وقيمتها الإقناعية)) (١٥٠)، ولا مغالاة في القول بأن: ((أهمية الحِجَاج في الدّراسَات المعاصرة متأتية من العودة القوية للبلاغة تحت تسمية (البلاغة الجديدة)، حيث ركزت على جانبين هما البيان والحِجَاج كوسيلة أساسية من وسائل الاقناع))** [١٥١]، فلم يعد الحِجَاج مجرد ضرب من ضروب المنطق أو الفلسفة، بل أخذ يُدرَس ضمن نطاق اللغة إلّا في ما هو واقع خارجها.

يشير **د. صابر الحباشة** إلى أن: ((الأساليب البَلاغيّة قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية كما هو مطلوب في سياق البلاغة، بل هي تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية، كما هو مطلوب في الحِجَاج، ومن هنا يتبين أن معظم الأساليب البَلاغيّة تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية))

---

(١٥٠) الحجاج والاستدلال الحجاجي: ٤١/٣ .

(١٥١) الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله: ٦٩ .

[١٥٢]، ولذا سيركز البحث على أهم الأساليب والآليات البَلاغيّة وهي التشبيه والاستعارة والكناية.

أولا التشبيه:

يذكر **الجرجاني** في أسرار البلاغة أنّ التّشبيه – إضافة إلى التمثيل والاستعارة– أصلٌ من الأصول الكبيرة، فـ **((كأن جلّ محاسن الكلام إنْ لم نقُلْ كلّها متفرعة عنها وراجعة إليها، وكأنّها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها، وأقطار تحيط بها من جهاتها، من لم يقف عليها كان قصير الهمة في طلب الحقائق، ضعيف المنة في البحث عن الدقائق، قليل التوق إلى معرفة اللطائف))** [١٥٣].

وهذا النص يكشف أهمية التشبيه بوصفه أداة تعبيرية عن المعنى تتفرع عنها محاسن الكلام، وقد شاع في البلاغة تعريف التشبيه على أنّه: بيان أنّ شيئاً أو أشياء قد شاركتْ غيرها في صفة أو أكثر، بواسطة أداة التشبيه هي الكاف أو نحوها، ملفوظة أو ملحوظة[١٥٤]، ومهمته **((تقريب المعنى إلى الذهن بتجسيده حياً، ومن ثم فهو ينقل اللفظ من صورة إلى صورة أخرى على النحو الذي يريده المصور، فإن أراد صورة متناهية في الجمال والأناقة شبه الشيء بما هو أرجح منه حسناً، وإن أراد صورة متداعية في القبح والتفاهة شبه الشيء بما هو أردأ منه صفة))** [١٥٥]، وهنا تتجلى السمة الحِجَاجية في أسلوب التشبيه، حيث تصاغ الفكرة بحسب ما يراه المتكلم حسناً أو قبحاً، مما يعمل على التأثير في المتلقي، ومن ثم إقناعه واستمالته، ولذا قال **ابن الأثير**(ت: ٦٣٧هـ): **((إنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه، ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتاً في النفس خيالاً حسناً يدعو إلى الترغيب فيها، وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتاً في النفس خيالاً قبيحاً يدعو إلى**

---

(١٥٢) التداولية والحجاج مداخل ونصوص: ٥٠.

(١٥٣) أسرار البلاغة: ٢٧–٢٨.

(١٥٤) ظ: البلاغة الواضحة: ١/٢٠.

(١٥٥) البيان العربي في ضوء القرآن الكريم: ٧٨.

التنفير منها)) [١٥٦]، ولأسلوب التشبيه في القرآن الكريم ميزة أساسية، فهو لا يعمد إليه إلّا في القضايا الخطرة ذات الشأن، فلا يؤتى بهذا الأسلوب إلّا حينما يكون هناك أمر يراد تقريره وتثبيته في النفوس، وهذا ما يجعله يختلف عن كثير من تشبيهات الناس[١٥٧]، ومن اللافت للنظر أن من **خصائص التشبيه** في القرآن أنه **((يستمد عناصره من الطبيعة وذلك هو سر خلوده، فهو باقٍ ما بقيت هذه الطبيعة، وسر عمومه للناس جميعاً يؤثر فيهم لأنهم يدركون عناصره، ويرونها قريبة منهم، وبين أيديهم، فلا تجد في القرآن تشبيها مصنوعاً يدرك جماله فرد دون آخر ويتأثر به إنسان دون إنسان، ...، فأنت في هذا تراه يتخذ الطبيعة ميداناً يقتبس منها صور تشبيهاته من نباتها وحيوانها وجمادها))** [١٥٨].

ومن التشبيهات القرآنية قوله تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٦-٧]** .

لقد وصف القرآن الكريم بعض الحجج التي تكون حركة أو تغييرا في شكل الوجه، أو إشارة باليد، وهذه الحجج يكون لها تأثير على سير الحوار، فمن خلال الهيأة والمظهر يتضح موقف الْمُخَاطبين، إذ يوجد إلى جانب الملفوظات إشارات غير لفظية كحركات اليد، ونظرات العين، وغيرها من الإشارات الجسدية والإيماءات التي تكون دالة ومحملة بمقاصد الْمُخَاطِب، وقد سمّى **تشاندلر** هذه الإشارات الجسدية بالشيفرات الجسدية وصنفها ضمن ما سمّاه بالشيفرات الاجتماعية ومثل لها ببعض الأمور يقول: ((الشيفرات الجسديّة (التَماس الجسدي، التَّجاور، التوجّه الجسماني، المَظهَر، التعبير بالوجه، إيماءات الرأس، الإيماءات، الوضْعة))) [١٥٩] .

ويعبر المتخاطبون عن طريق هذه الإشارات غير اللّفظية عن أفكارهم ويحملونها معانيهم ويستطيع الطرف الآخر تفسيرها والوصول إلى قصد المرسل ويكون السياق هو المفسِّر للمعنى المراد. وفي هذا الموضع من القرآن الكريم تجسد خِطَابهم الاسْتِكبَاري من

---

(١٥٦) المثل السائر: ١٢٣/٢؛ ظ: فن التشبيه: ٥٨/١

(١٥٧) ظ: البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع: ١٠٧.

(١٥٨) من بلاغة القرآن: ١٥١ – ١٥٢.

(١٥٩) أسس السيميائية: ٢٦٧

خلال اسلوب التشبيه الذي استعمله القران الكريم في تصوير توليهم وهروبهم من المواجهة كأن لم يسمعوها، فقد روي في حادثة نزول هذه الآية أن النضر بن الحارث كان يتجر إلى فارس فيشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشاً ويقول: إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود، فأنا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن، وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلّا أنطلق به إلى قينته، فيقول: أطعميه واسقيه وغنيه، ويقول: هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه[١٦٠].

وفي قوله تعال: ﴿ **وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا** ﴾ **[لقمان:٧]** يتجسد مشهد من مشاهد الأذى والمحاربة النفسية التي كانت تستهدف النبي والمؤمنين إبّان دعوة الإسلام المباركة ويتضمن هذا المشهد كثافة تشبيهية في جملتين تصدرتا بـ(كأن)، وفيهما طاقة حجاجية عالية بتحقير المشبه، ثم تنثال صور التهكم والسخرية لتساند الوظيفة الحِجَاجية للتشبيه، فالجملة التشبيهية الأولى ﴿**كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا**﴾ حال من الضمير في ﴿**مُسْتَكْبِرًا**﴾، والجملة الثانية ﴿**كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا**﴾ حال من ﴿**لَمْ يَسْمَعْهَا**﴾، ويجوز أن تكونا استئنافيتين[١٦١]، وفي معنى المشابهة يذكر المفسرون أنه قد شبه بالذي لا يسمع الآيات التي تتلى عليه، أي حاله في إعراضه تكبراً أو في تكبره تشبه حال من لم يسمعها وهو سامع، فوجه الشبه هو عدم التأثر ولو تأثراً يعقبه إعراض[١٦٢]، وكلام المفسرين يجعل المشبه غير المشبه به، والحق أنهما واحد، ولكن حاله مختلفة، أي شبّه حاله في إعراضه بحاله في عدم سماعها، فالمراد من التشبيه ((بيان أنه ليس لتلاوة الآيات عليه من فائدة وأن يجعل حاله أذا تليت عليه كحاله إذا لم تتل))[١٦٣]، وهنا يتجلى وجه الشبه في عدم التأثر بالآيات حال سماعها، فسماعها وعدمه سواء عنده وهذه صورة عناد وإعراض عن تقبل الآيات فضلاً عن سماعها، وفي هذا التشبيه

---

(١٦٠) ظ: معاني القرآن: ٣٢٦/٢؛ الكشاف: ٤٩٠/٣؛ المحرر الوجيز: ٣٤٥/٤؛ التحرير والتنوير: ١٤١/٢١-١٤٢.

(١٦١) ظ: الكشاف: ٤٩٢/٣؛ البحر المحيط: ٤١١/٨.

(١٦٢) ظ: روح المعاني: ٧٩/١١؛ التحرير والتنوير: ١٤٤/٢١.

(١٦٣) من بلاغة القرآن: ١٣٧.

معانٍ مضمرة تُلقَى على الْمُخَاطب كمسلّمات لا نقاش فيها، تتداخل مع سياق الْخِطَاب لتعمق تأثيره في المتلقي وعن هذه المضمرات يقول **الآلوسي:** ((وفيه رمز إلى أن من سمعها لا يتصور منه التولية والاسْتِكبَار، لما فيها من الأمور الموجبة للإقبال عليها والخضوع لها)) [١٦٤]، وهذه المعاني تسري مع التشبيه فتودع في ذهن المتلقي، وفيها ما فيها من التقبل والإذعان دون أن يعاد فيها النظر، والإعراض عن القرآن يمثل تعالياً واستكباراً وبهذا التشبيه قُلِب المعنى، فشبهه بأنه لم يسمع ما فيه ولو سمع لاهتدى، فقلب التعالي إلى تسافل في الإعراض عن الحق، فقد أبان عن مكانة القرآن ومنزلة ما فيه من هدىً وبصيرة كما كشف عن موقف المعرض أو المعرضين عنه وماهم عليه من الضلال، وبهذا يكتسب التشبيه دوراً حجاجياً وطاقة إقناعية دلالية عالية في توظيف المعاني المضمرة لاستمالة المتلقي، ثم يرتقي في الذم بتشبيه آخر﴿**كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا**﴾، إذ كرر التشبيه للمعنى السابق لتقويته مع اختلاف الكيفية في أن عدم السمع مرة مع تمكن آلة السمع، ومرة مع انعدام قوة آلته، فشبه ثانياً بالذي في أذنيه وقر، وهو أخص من التشبيه السابق[١٦٥].

إن هذا التشبيه – بتعبير **سيد قطب** – مؤثر نفسي لتحقيره أو وخزة مهينة تدعو إلى تحقير هذه الهيأة[١٦٦]، فـ ﴿**كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا**﴾، والوقر: ثقل في الأذن، يقال: وقرت أذني عن كذا تقر وقراً، أي: ثقلت عن سمعه[١٦٧]، وشاع الوقر في معنى الصمم مجازاً مشهوراً ساوى الاستعمال الحقيقي [١٦٨]، فقد بولغ في وصفه بالصمم لشدة إعراضه؛ ((لأن المقصود من التشبيه بمن في أذنيه وقر هو بعينه المقصود من التشبيه بمن (لم يسمع)، ولكن الثاني أبلغ وأكد فيما سيق له)) [١٦٩]، وتأتي قوته من انتفاء حاسة السمع بخلاف

---

(١٦٤) روح المعاني: ٧٩/١١.

(١٦٥) ظ: التحرير والتنوير: ١٤٤/٢١.

(١٦٦) ظ: في ظلال القرآن: ٢٧٨١/٥ – ٢٧٨٥.

(١٦٧) ظ: كتاب العين: ٢٠٦/٥؛ المفردات في غريب القرآن: ٦٨٦/٢.

(١٦٨) ظ: التحرير والتنوير: ١٤٤/٢١.

(١٦٩) من بلاغة القرآن: ١٣٧.

الأول الذي لا يدل على ذلك، ولذا فإن التشبيه الثاني أوكد وأعمق وأخص من الأول، وللتشبيهين حالة من كمال الاتصال لذلك فصلا ولم يقبلا دخول واو العطف، لما بينهما من تواشج وارتباط، إذ تركت الواو هنا لقصد إظهار المقصود من هذه التشبيهات في التعبير عن المعنى وتأكيده للسامع(١٧٠)، فضلاً عن ذلك فإن التشبيه الثاني يحمل شحنة صوتية تفوق التشبيه الأول، وذلك بتثقيل (كأنّ)، وقد تنبه **الآلوسي** لذلك فقال: ((وتثقيل (كأنّ) لمناسبته للثقل في معناه)) (١٧١)، ولذا فان التشبيه الثاني يحمل طاقة حجاجية أعلى من التشبيه الأول على الرغم من توحدهما في مسار حجاجي واحد، إذ يقود الذهن إلى مرحلة أرقى في الذم والتقبيح، وفي مجيئها منفصلين كثافة في توليد المعاني، مما يأسر الذهن، ويفرض عليه الإذعان والتسليم لمضمون التشبيه والتأثر به في تقبيح هيئة المعرضين عن سماع القرآن .

الاستعارة:

للاستعارة في المورث العربي تعريفات عدة، ولعل أشهرها ما جاء به **عبد القاهر الجرجاني** وهي أن تريد تشبيه الشيء بالشيء وتظهر وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه(١٧٢)، ويبدو من هذا التعريف أنه يلحظ الأصل في الاستعارة، إذ تعتمد الاستعارة على التشبيه في أصل وضعها، ومن ثم يتناسى التشبيه ليقصد أن المشبه هو المشبه به، فيحق أن يبدل الشيء بنفسه، ومن هنا ظهر مفهوم الادّعاء كما يذكره **د. طه عبد الرحمن**، ومعناه أن المشبه يدخل في المشبه به ويساويه في الصفة المشتركة بينهما(١٧٣)، وهذا التناسي لأصل الاستعارة (التشبيه) صورة من صور المبالغة في الوصف، يقول صاحب **الإيضاح:** ((بناء الاستعارة على تناسي التشبيه قضاء لحق

---

(١٧٠) ظ: دلائل الإعجاز: ١٥٢

(١٧١) روح المعاني: ٧٩/١١.

(١٧٢) ظ: دلائل الإعجاز: ٥١-٥٢: ولمزيد من تعريفات البلاغيين قديماً وحديثاً، ظ: البيان في ضوء أساليب القرآن: ١٥٨؛ أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم: ١١١؛ الصورة البيانية في الموروث البلاغي: ١٢٣.

(١٧٣) ظ: أساليب الحجاج في البلاغة العربية، بحث منشور ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ١٥٣/٣

المبالغة)) [١٧٤] في إثبات المعنى وإلقائه على الْمُخَاطب لا في زيادة في المعنى نفسه[١٧٥]، فالاستعارة تؤدي المعنى نفسه الذي تؤديه العبارة الحقيقية، وليس من فارق بينهما إلّا ما تؤديه الاستعارة من التأثير الحسن للمستمع، والترجمة الجيدة للمعنى وإخراجه في معرض أخّاذ جميل[١٧٦].

الاستعارة الحِجَاجية:

تعد الاستعارة الحِجَاجية شكلا من الأشكال البَلاغيّة، ووجها أسلوبيا حجاجيا فاعلا في رسم معالم الْخِطَاب الحِجَاجي البلاغي، وهذه الأشكال البَلاغيّة على درجة كبيرة من الحساسية، تتوقف جدواها على مدى تأديتها لدورها الحِجَاجي أو البرهاني كما يرى **بيرلمان** والأشكال البَلاغيّة متنوعة وتتجسد في أفانين خِطَابية كبيرة، منها الحِجَاجية، وعلى رأسها الاستعارة التي تأتي أهميتها من انحدارها مما يسميه بـ " **القياس L'analogie** " ((ودوره في الأبنية البرهانية، وهو يقع في جذر أهم الأشكال البيانية من تشبيه واستعارة [١٧٧].

وقد صنف **ارسطو** الاستعارة ضمن الأقاويل الشعرية والْخِطَابية، رغم امتدادها في نظر الدّراسَات البَلاغيّة والْخِطَابية الحديثة إلى الكلام اليومي السهل، وجعلها تفتح أحضانها لتشمل عددا من الوجوه البَلاغيّة مثل: الكناية، المجاز المرسل، التشبيه، المبالغة، التمثيل،

---

(١٧٤) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٦٨

(١٧٥) ذكر **الجرجاني** في معرض حديثه عن مبالغة هذه الأجناس البيانية على غيرها: ((اعلم أن سبيلك أولاً أن تعلم أن ليست المزية التي تثبتها لهذه الأجناس على الكلام المتروك على ظاهره: والمبالغة التي تدعي لها في أنفس المعاني التي يقد المتكلم إليها بخبره ولكنها في طريقة إثباته لها وتقريره إياها: ..: [إذ] ليست المزية التي تراها لقولك: رأيت أسداً على قولك رأيت رجلاً لا يتميز عن الأسد في شجاعته وجرأته أنك قد أفدت بالأول = =زيادة في مساواته بالأسد: بل أن أفدت تأكيداً وتشديداً وقوة في إثباتك له هذه المساواة وفي تقريرك لها فليس تأثير الاستعارة إذن في ذات المعنى وحقيقته: بل في إيجابه والحكم به)): دلائل الاعجاز: ٥٤

(١٧٦) ظ: البيان في ضوء أساليب القرآن: ٢٢٦.

(١٧٧) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٨٠ –٨١.

التعريض، السخرية، الطباقات، الألغاز، الرموز، والأمثال، وغيرها من الوجوه البَلاغيّة إلى درجة جعلته يرجع جميع الصّور إلى الاستعارة [١٧٨].

و تحت عنوان حجاجية الاستعارة، يورد " **عمر أوكان** " تقسيمات " **آرسطو** " الثلاثة للاستعارة، و هي: **الاستعارة الجمهورية، و الاستعارة الشعرية، و الاستعارة الحِجَاجية،** و يقول في ذلك: وقد أقمنا هذا التّمييز انطلاقا من مقام التّواصل اليوميّ للخِطَاب ؛ فإذا كان الْخِطَاب يهدف إلى الإقناع يكون حجاجيا، وحين يهدف إلى المتعة يكون شعريا، وحين يهدف إلى الإبلاغ يكون عاديّا متداولا، ومن هنا، فالاستعارة الجمهورية تهدف إلى الإبلاغ، والاستعارة الحِجَاجية تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف العاطفي أو الفكري للمتلقّي، في حين أن الاستعارة الشّعرية لا تهدف إلّا إلى ذاتها [١٧٩].

من ذلك يتبين لنا ان **الاستعارة الحِجَاجيّة** : تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقّي، وقد نظّر لها أرسطو وصنّفها تحت تسمية " **الاستعارة الحِجَاجيّة** " وهي عنده تمثل مظهرا خارجيا يجتذب السّامع و يبهجه، و ينصح الخطيب بالاعتناء بها جيّدا، و لهذا يصرّ على استعمال الاستعارات السهلة القريبة، و الواضحة وضوحا تاما، الغريبة بشكل يستر غرابتها حتى لا تظهر بمظهر التّكلّف، كي لا يرتاب فيها المتلقي ؛ لأن ما هو متكلف يلغي الإقناع، و إنما يؤدي إليه ما هو طبيعي، كما ينصحه بعدم الإكثار منها لأن الإفراط فيها يخرج بها من الاستعارة الحِجَاجية إلى الاستعارة الشعرية، و يخرج بالْخِطَاب أيضا من جنس الْخِطَابة إلى جنس الشعر [١٨٠]. وهذا ما اعتقده بيرلمان في أبحاثه حول الاستعارة، إذ عدها مقوما حجاجيا إقناعيا، فالاستعارة متى نجحت في استمالة الْمُخَاطب لم تعد زخرفة، بل تعد مقوما حجاجيا، إذ وضح بيرلمان تصوره للاستعارة بقوله : **إن أي تصور للاستعارة لا يلقي الضوء على أهميتها في الحِجَاج لا يمكن أن يحظى بقبولنا** [١٨١]، ويرى **بيرلمان** وزميله **تيتيكا** أن كلّ دراسة لمجموع الحِجَاج لابد أن تأخذ بعين الاعتبار

---

(١٧٨) اللغة والخطاب: ١٣١..

(١٧٩) اللغة والخطاب: ١٣٣.

(١٨٠) ظ: اللغة والخطاب: ١٣٤.

(١٨١) الاستعارة الحجاجية بين أرسطو وشايم بيرلمان: محمد الولي، مجلة علامات في النقد , د.ت, ٣٥

أن الاستعارة والتمثيل من عناصر الحجة، ودور الاستعارة في نظرهما يمكن أن يتضح بشكل أفضل في علاقة بالنظرية الحِجَاجية للتمثيل [١٨٢] .

وفي الدّراسَات العربية الحديثة لحجاجية الاستعارة، يربط **العزاوي** بين الاستعارة والسلم الحِجَاجي، ويعد الأقوال الاستعارية أعلى وأقوى حجاجيا من الأقوال العادية [١٨٣]. فالاستعارة الحِجَاجية عنده تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خِطَابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحِجَاجية ... وهي النوع الأكثر انتشارا لارتباطه بمقاصد المتكلمين وسياقاتهم التخِاطَبية والتواصلية، في مقابل الاستعارة الحِجَاجية توجد الاستعارة البديعية، وهي التي تقصد لذاتها، ولا ترتبط بالمتكلمين ومقاصدهم وأهدافهم، ويوجد هذا النوع من الاستعارة عند الأدباء الذين يهدفون من خلالها إلى إظهار تمكنهم من اللغة، فالسياق هنا هو سياق الزخرف اللفظي والتفنن الأسلوبي، وليس سياق التواصل والتخاطب [١٨٤] .

ومن هذا كلّه نجد أن الاستعارة تعدّ وسيلة مهمة من وسائل التأثير والحِجَاج، لما لها من قدرة في التصوير ، وقيامها على التناسب مع مقتضيات السياق، فهي تعد من أبلغ الصور وأقوى الآليات البَلاغيّة تعبيرا عن الواقع، وهذا ما جعلها أداة بَلاغيّة حجاجية قوية ووسيلة لغوية يستغلها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحِجَاجية، بل إنها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدا، ما دمنا نسلم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية [١٨٥].

هذا الد ور الفعّال للاستعارة جعل البلاغيين الجدد يعدونها من أخطر الوسائل الحِجَاجية، لما لها من طاقة وقدرة على استمالة المتلقي واقناعه، فهي أصبحت مقوما حجاجيا بل برهانيا لا غنى عنه في مجال الإنسانيات، واحتلت مكانا مرموقا منه [١٨٦]

إذن فمفهوم الاستعارة ينظر إليه من خلال النّظريّة الحِجَاجيّة المعاصرة على أنه آلية حواريّة وتواصليّة تسهم في خدمة النّصوص بأبعادها المختلفة، كما أنها تعد من المقوّمات

---

(١٨٢) حجاجية المجاز والاستعارة: مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته: ٣/ ٢١١.

(١٨٣) ظ: اللغة والحجاج: ٢٤١.

(١٨٤) ظ: اللغة والحجاج: ٢٤٠.

(١٨٥) ظ: استراتيجيات الخطاب ٢٩١.

(١٨٦) الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية: ٤٥٨.

الحِجَاجيّة والإقناعيّة بمختلف أشكالها وأنواعها فبالإضافة إلى كونها اداة بيانية، فإنها تحوي من الإيحاء والغموض ما يجعل المتلقي يكون مشاركا فِي الْخِطَاب وقد تحوّلت من أداة للتّخييل ووسيلة للإطراب إلى آلية حجاجيّة تسخّر في خدمة الاستراتيجيّة الْخِطَابية، بل هي من أهمّ وسائل الإقناع، فهي تسعى إلى دعوة المرسل إليه إلى التّعاون مع المرسل من أجل إنتاج الْخِطَاب عن طريق ملء فراغه والجمع بين متناقضاته، من هنا صارت الاستعارة صاحبة الحظّ الأوفر والنّصيب الأكبر في الدّراسَات الحِجَاجية المعاصرة .

ويمارس المتكلم من خلال الاستعارة نوعا من الضغط للإقناع والتأثير يقول **الجرجاني:((فقد حصل من هذا الباب أن الاسم المستعار كلما كان قدمه أثبت في مكانه، كان موضعه من الكلام أضمن به، وأشد محاماة عليه، وأمنع لك من أن تتركه وترجع إلى الظاهر بالتشبيه فأمر التخيل فيه أقوى، ودعوى المتكلم له أظهر))**. (١٨٧)

والعملية الحِجَاجية تقتضي وجود خِطَاب موجه من الْمُخَاطِب إلى غيره الْمُخَاطَب وإذا كان كذلك فإن التوجه والافهام سيكون للمخاطِب، في حين يكون الادعاء في أول الحِجَاج التخاطبي للمخاطِب، والاعتراض للمخاطَب، وبعد الدخول في العملية الحِجَاجية تتناوب المقاصد فيما بين المتخاطبين بما يملك كل واحد منهما من حجج وبراهين وأدلة (١٨٨)، وهذه العملية الحِجَاجية تستند إلى أمرين: **(الإقناع والتأثير)**، إذ إن أهم شيء تؤسس عليه دلالة الحِجَاج هو وجود اختلاف بين المرسل للرسالة اللغوية والمتلقي لها، ومحاولة الأول إقناع الثاني بوجهة نظره بتقديم الحجة والدليل على ذلك، فالحِجَاج انتهاج طريقة معينة في الاتصال غايته استمالة عقول الآخرين والتأثير فيهم، ومن ثمّ إقناعهم بمقصد معين(١٨٩) .

هذا الطرح وجد ما يدعمه في الدراسة البَلاغيّة القرآنية، وذلك أ ن دراسة الأساليب القرآنية في التأثير والاستمالة كثيرا ما تؤدي إلى فهم الصورة القرآنية على أنها طريقة في

---

(١٨٧) اسرار البلاغة: ٢٧٩.

(١٨٨) ظ: حجاجية القص القراني: قصة نوح انموذجا: ٧٠.

(١٨٩) ظ: البيان الحجاجي في إعجاز القران الكريم: سورة الانبياء أنموذجا: ٤.

قصيرة أو طويلة في عقل المتلقي، وترافقه المعاني الإيحائية، فهو قائم على أساس التلازم الذي هو أحد عوامل تداعي المعاني لأننا حين نستعمل الملزوم نريد اللازم[١٩٤].

ولم يغفل البلاغيون العرب ذلك، فقد ذكر **القزويني** أن الانتقال في الكناية ((**من الملزوم إلى اللازم، فيكون إثبات المعنى به، كدعوى الشيء ببينة، ولاشك أن دعوى الشيء ببينة أبلغ في إثباته من دعواه بلا بينة**)) [١٩٥]، وهكذا تحتل الكناية منزلتها في الحِجَاج، فهي وسيلة لاتساع أفق الإقناع وحصول الاقتناع، فالنتيجة في الطرح غير الكنائي يحتمل النقاش، ولكن صياغة هذا الطرح على وفق الأسلوب الكنائي يزيد من درجة تأثيرها، فالقارئ يكتشف النتيجة، ومتى ما اكتشفها أقر بصحتها؛ لأنه لا الباث أوردها صراحة، ولا القارئ سيسعى لتخطئة تصوره[١٩٦]، ولا ترد الكناية في القرآن الكريم لغرض فني صرف أو جمالي خالص فحسب، بل ترد موظفة للتعبير عن المعنى وإيضاح القصد حتى كأن المعنى والقصد الذي يذهب إليه الْخِطَاب لا يتبدى إلّا في خلال أسلوب الكناية، ومن هنا تعددت أهداف الكناية القرآنية أو أغراضها وأسبابها[١٩٧]، وقد تتركز القوة الحِجَاجية في طريقة الاستدلال حيث تبدأ عملية الاستدلال من البديهيات والقضايا المسلّم بها أو السهلة حتى تصل شيئاً فشيئاً إلى الحجج المودعة والقضايا المعقدة التي يدور حولها الحِجَاج والجدال. ومن الحجج الكنائية التي اتضح من خلالها الْخِطَاب الاسْتِكبَاري، قول اليهود: ﴿**يد اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾: غل اليد: كناية عن البخل[١٩٨]، إذ قال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِين**﴾**[المائدة:٦٤]**، إذ وصفوا الله تعالى بأنه فقير وهم أغنياء، ووصفوه بالبخل

---

[١٩٤] ظ: البيان في ضوء أساليب القرآن: ٢٦٥.

[١٩٥] الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٤٩-٢٥٠.

[١٩٦] ظ: الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي: ٧٨.

[١٩٧] ظ: نظرية البيان العربي: ٣٨٢.

[١٩٨] ظ: تفسير المنير: ٦ / ٢٤٩.

كما أنهم استعملوا كثرة الأولاد والأموال كناية عن قوتهم وسلطتهم فاغتروا واستكبروا بها وجعلوها حجة لهم : يقول تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (سبأ: ٣٤-٣٥)، وهذا تلميح إلى أنهم أهل حظّ عند الله تعالى، وقد جاء هذا المعنى في تفسير ابن عاشور أذ يقول: وقفوا على صريح كفرهم بالقرآن وغيره من الشرائع بكلام كنّوا به عن إبطال أحقيّة الإسلام بدليل سفسطائي فجعلوا كثرة أموالهم وأولادهم حجة على أنهم أهل حظ عند الله تعالى.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾[النازعات:٢٤]، فالآية تتحدث عن فرعون المُسْتَكبِر اذ خاطب قومه مستكبرا عليهم فقال ذلك القول وادعى لنفسه الربوبية ، كناية عن سلطته العليا المُسْتَكبِرة: ((فقال أنا ربكم الأعلى((**دعوى الربوبية وظاهره أنه يدعي أنه أعلى في الربوبية من سائر الأرباب التي كان يقول بها قومه الوثنيون فيفضل نفسه على سائر آلهتهم**)) [٢٠٤]. فجاء خِطَابه استكباريا.

هكذا يتضح مما تقدم كيف تجلى خِطَاب الاسْتِكبَار الحِجَاجي في القران الكريم في الأساليب البَلاغيّة التي وظفت في الجانب البياني من خلال التشبيه والاستعارة والكناية.

ثانيا: دلالة الأساليب اللّغوية:

الاساليب اللغوية مهمة في أي خِطَاب، وتزداد أهميتها بشكل كبير فِي الْخِطَاب الحِجَاجي، لما تؤديه من دور فعال ، وبخاصة في اكتساب الْخِطَاب طاقة وقدرة حجاجية، بما توفره من علاقات بين المقدمات والنتائج.

و ((**المقصود بالأساليب اللغوية تلك الأساليب التي يتم فيها استعمال أدوات تساعد على عقد العلاقات بين الحجج والنتائج، أي أنها تُعين المتكلم على تقديم حججه في صورة تناسب المقام أو السياق الذي هو فيه، وتصله إلى غرضه من طرح الْخِطَاب على ذلك المتلقي**(([٢٠٥].

ويرى **ديكرو** ((**أننا نتكلم عامة بقصد التأثير، وهذا التأثير والحمل على الإذعان والإقناع بما يعرض علينا من أفكار ومعتقدات، إنما يحصل بالوسائل اللغوية وبإمكانات**

---

[٢٠٤] ظ: الميزان: ٢٠ / ١٠٤.

[٢٠٥] استراتيجيات الخطاب: ٤٧٧.

اللغة الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلم)) [٢٠٦] ، كون اللّغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية [٢٠٧] في بنية الأقوال اللغوية. وتعدّ الأساليب والأدوات اللغوية في كل خِطَاب، وفِي الْخِطَاب القرآني خاصة، من الأساليب الحِجَاجية الأفضل لتحقيق الإقناع والتصديق بما جاء فيه. ويمكن رصد أهم هذه الأدوات اللغوية فيما يلي:

---

[٢٠٦] الحجاج في اللغة: أبو بكر العزاوي: مقال ضمن مؤلف: الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة: ٥٦.

[٢٠٧] م. ن: ٥٥.

الروابط الحِجَاجية:

إن مصطلح (الرابط) لا يحيل –كما هو معلوم– إلى نمط نحوي معين، بقدر ما يدل على نمط الاشتغال، فالرابط يسمح للمتكلم بإقامة علاقة منطقية أو حجاجية بين جملتين[٢٠٨]، وعليه فللروابط الحِجَاجية دور مهم في ربط الحجج والنتائج بسياقاتها الموظفة فِي الخطاب الحِجَاجي، فالجملة عند **ديكرو وإنسكومبر** (أي المستوى الإعرابي والمعجمي) تتضمن وجهة حجاجية تحدد معناها قبل أي استعمال لها، ولكن القول (أي استعمال الجملة في المقام) يفرض ضرباً من النتائج دون غيرها، وهذا يستلزم أن القول لا يصلح لأن يكون حجة لهذه النتيجة أو تلك إلّا بموجب الوجهة الحِجَاجية المسجلة فيه، ومأتى هذه الوجهة الحِجَاجية هو المكونات اللغوية المختلفة للجملة التي تحدد معناها وتضيق أو توسع من احتمالاتها الحِجَاجية، وهذه المكونات اللغوية هي التي تحدد طرق الربط بين النتيجة وحجتها[٢٠٩]، فالروابط تربط بين قولين أو بين حجتين (أو اكثر) وتسند لكل قول دوراً محدداً داخل الاستراتيجية الحِجَاجية العامة[٢١٠]، لذا فإنها تقع بين الجمل وعلى مستوى الحجج والنتائج وطرق تنظيمها في المسار الحِجَاجي للخِطَاب، وهكذا يمكن التمييز بين أنماط عدّة من الروابط[٢١١] :

١– الروابط المدرجة للحجج (حتى، وبل، ولكن، ومع ذلك، ولان) والروابط المدرجة للنتائج (إذن، لهذا، وبالتالي)

٢– الروابط التي تدرج حججاً قوية (حتى، وبل، ولكن، ولاسيما) والروابط التي تدرج حججاً ضعيفة.

٣– روابط التعارض الحِجَاجي (بل، ولكن، ومع ذلك) وروابط التساوق الحِجَاجي (حتى، لاسيما).

---

[٢٠٨] ظ: المصطلحات المفاتيح في اللسانيات: ٣٢

[٢٠٩] ظ: نظرية الحجاج في اللغة: ٣٧٥–٣٧٦.

[٢١٠] ظ: اللغة والحجاج: ٢٧: والحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية: ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته: ٢/١٠٠؛ المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ٢٦.

[٢١١] ظ: اللغة والحجاج: ٣٠.

وهذه الألفاظ والأدوات اللغوية التي يكون دورها هو الربط الحِجَاجي بين قضيتين أو اكثر وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججاً في الْخِطَاب، هي ما يسميه المناطقة باللفظ – الأداة، إذ لا تدل عندهم بحد ذاتها على أي معنى، بل من طبيعتها أن تربط فقط بين الألفاظ المختلفة لتبيان العلاقات القائمة فيما بينها، وهي لا تصلح لأن تكون موضوعاً ولا محمولاً في القضايا المنطقية[٢١٢]، والروابط الحِجَاجية هي المؤشر الأساس والبارز، والدليل القاطع على أن الحِجَاج مؤشر له في بنية اللغة نفسها، وتحتوي اللغة العربية على روابط حجاجية عدة شأنها شأن اللغات الأخرى[٢١٣]، وتكمن قيمتها الحِجَاجية في أنها تضطلع بدورين: الربط الحِجَاجي بين قضيتين وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججاً في الْخِطَاب[٢١٤].

١. بل:

تكمن حجاجية (بل) في كون معناها الإضراب الإبطالي أو الانتقالي إذا تلتها جملة، والإضراب بجعل ما قبلها كالمسكوت عنه إذا تلاها مفرد ووقعت بعد إيجاب أو أمر، والإضراب بتقرير الحكم لما قبلها وجعل ضده لما بعدها إذا تلاها مفرد ووقعت بعد نفي أو نهي، قال **الرضي:** ((وأما (بل) فإما أن يليها مفرد أو جملة، وفي الأول هي لتدارك الغلط، ولا يخلو أن تكون بعد نفي أو نهي أو بعد إيجاب أو أمر فإذا جاءت بعد إيجاب أو أمر،...، فهي لجعل المتبوع في حكم المسكوت عنه منسوباً حكمه إلى التابع،...، وإذا عطفت بـ(بل) مفرداً بعد النفي أو النهي، فالظاهر أنها للإضراب أيضاً، ومعنى الإضراب: جعل الحكم الأول موجباً كان أو غير موجب، كالمسكوت عنه بالنسبة إلى المعطوف عليه،...، وأما (بل) التي تليها الجمل، ففائدتها الانتقال من جملة إلى أخرى أهم من الأولى، وقد تجيء للغلط)) [٢١٥]، وهذا تلخيص لكلام النحويين على (بل)، فقد فهموا معناها الإبطالي وأدركوا قيمتها الحِجَاجية في ترتيب الحجج المقدمة، فحجاجية (بل) تكمن

---

[٢١٢] ظ استراتيجية الخطاب: ٥٠٨: وفي تعريف هذه الأدوات عند المناطقة؛ ظ: الشمسية في القواعد المنطقية: ٤٨.

[٢١٣] ظ: اللغة والحجاج: ٥٥.

[٢١٤] ظ: استراتيجيات الخطاب: ٥٠٨.

[٢١٥] شرح الرضي على الكافية: ٤/٤١٨-٤١٩؛ الجنى الداني: ٢٣٥

(في أن المرسل يرتب بها الحجج في السلم، بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة، وذلك بأن بعضها منفي وبعضها مثبت)) [٢١٦]، والإضراب الإبطالي بسبب غلط أو نسيان منفي عن الله سبحانه، جاء في **المقتضب:**)) (بل) لا تأتي في الواجب في كلام واحد إلّا للإضراب بعد غلط أو نسيان، وهذا منفي عن الله عز وجل)) [٢١٧]، وعليه فإن الإبطال غير وارد في كلامه سبحانه، إلّا أن يضرب عن قول منسوب الى غيره، ففي قوله تعالى: **﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦]** ، وردت (بل) هنا وأفادت الإضراب الإبطالي، فمعناها: بل هم عباد مكرمون[٢١٨]، فنزّه تعالى نفسه عن الكفرة، وأضرب عن مقالهم ونصّ ما هو الأمر في نفسه[٢١٩]، قال **الآلوسي:** ((قوله تعالى: **﴿بَلْ عِبَادٌ﴾** إضراب وإبطال لما قالوا، كأنه قيل: ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد من حيث أنهم مخلوقون له تعالى فهم ملكه سبحانه، والولد لا يصح تملكه)) [٢٢٠]، فالقيمة الحِجَاجية للرابط (بل) تمثلت في إبطال قول المشركين (ما قبلها) وإثبات القول الحق والحجة الأقوى (ما بعدها)، وبذلك (فقد تمكن من إنجاز فعلين لغويين، مع استيفاء ترتيبهما حجاجياً باستعمال الأداة (بل)، وذلك لخصيصتها اللغوية)[٢٢١].

أما في الخاصية الانتقالية للرابط (بل) فإنها من النمط الحِجَاجي الذي يقيم علاقة حجاجية مركبة من علاقتين حجاجيتين فرعيتين، فالرابط (بل) عندئذ يربط بين الحجج والنتائج، والنتيجة المضادة ستصبح نتيجة القول برمته، لأن الحجة بعد (بل) أقوى من الحجة التي ترد قبلها[٢٢٢]، ففي قوله تعالى: **﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ**

---

[٢١٦] استراتيجيات الخطاب: ٥١٤.

[٢١٧] المقتضب: ٣٠٥/٣.

[٢١٨] ظ: معاني القرآن: ٢٠١/٢؛ المقتضب: ٣٠٥/٣.

[٢١٩] ظ: المحرر الوجيز: ٧٩/٤؛ البحر المحيط: ٤٢٢/٧.

[٢٢٠] روح المعاني: ٣٢/٩.

[٢٢١] استراتيجيات الخطاب: ٥١٥

[٢٢٢] ظ: اللغة والحجاج: ٦٣.

مَسْحُورُون﴾ [الحجر: ١٣-١٥] ، فقد تضمن تصويراً لحالة الرفض والعناد والمكابرة، والمعنى: ((**ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء، وسير لهم معراج يصعدون فيه إليها ورأوا من العيان ما رأوا، لقالوا: هو شيء نتخايله لا حقيقة له، ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك**)) [٢٢٣]، فالإضراب الانتقالي من المعنى الأول وهو ادّعاؤهم تخايل أبصارهم إلى المعنى الثاني وهو ادّعاؤهم أنهم مسحورون، فـ ((يجئ قولهم: بل نحن قوم مسحورون، انتقالاً إلى درجة عظمى من سحر العقل)) [٢٢٤]، فالرابط إذن قد ربط بين حجتين تخدمان نتيجة واحدة، فالحجة الأولى (سكرت أبصارنا) يفترض أن ما يرونه ليس حقيقياً، ثم أضربوا عن ذلك وانتقلوا إلى ما هو أعظم **﴿نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُون﴾**، أي: سحرهم النبي ، فهم لا يرون ما يرون سوى سحراً، إذ المرأى عندهم ليس له حقيقة واقعة، فالحجتان تخدمان نتيجة واحدة وهو أن ما نراه من الحجج والبراهين ليس حقيقياً، إلّا أن الحجة الثانية أقوى، على اساس أن السحر أعظم وأقوى من التخيل والسكر، وبهذا تتجلى القيمة الحِجَاجية للرابط (بل) في تقديم الحجة الأقوى والإضراب عن الأضعف، وإن كانتا تخدمان نتيجة واحدة، وبذلك عدت (بل) في هذا الموضع وما شابهه من الروابط التي تعبر عن التساوق الحِجَاجي[٢٢٥] .

ومن الآيات التي تضمن الربط الحجاجي بل ماجاء في قوله تعالى :

١. ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[هود:٢٧]

٢. ﴿ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ ﴾

(الأنبياء : ٥)

٢. الواو:

---

[٢٢٣] الكشاف: ٥٧٣/٢

[٢٢٤] البحر المحيط: ٤٧١/٦.

[٢٢٥] ظ: اللغة والحجاج: ٦٤

يستعمل الواو حجاجيا **((بترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض بل وتقوي كل حجة منها الأخرى، وتعمل على الربط النسقي أفقيا على عكس السلم الحِجَاجي))** [٢٢٦]. ويُلحظ في قوله تعالى: **﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِين﴾ [سبأ:٤٣]**، فالحجج في الآية الكريمة جاءت متسقة وغير منفصلة وكذلك كل حجة تقوم بتقوية الحجة الأخرى وذلك بفضل الرابط الحِجَاجي (الواو).

ح١: ﴿مَا هَذَا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ﴾
ح٢: ﴿مَا هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾
ح٣: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِين﴾

فالرابط الحِجَاجي هنا قام بوصل الحجج وترتيبها لتقوية النتيجة الضمنية وهي وحدانية الله وقدرته.

٣. حتى:

يقول كل من **(ديكرو)** و **(أنسكوبير)** في شأن الرابط الحِجَاجي **(حتى)**: الحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي تخدم نتيجة واحدة، والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى، لذلك فإن القول المشتمل على الأداة (حتى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحِجَاجي[٢٢٧]. ويستعمل أيضًا في مواضعَ للتساوق الحِجَاجي، أي تساق الحجج

قال تعالى: **﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخذتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُون﴾[البقرة:٥٥]**، فالحجة التي استعملوها في هذه الآية هي رؤيتهم الله جهرة، والنتيجة أنهم لن يؤمنوا، فالرابط الحِجَاجي حتى قد خدم هذه النتيجة ومنحها قوة حجاجية كبيرة إذ انها لا تقبل أبطال أو تعارض حجاجي.

العوامل الحِجَاجية:

---

[٢٢٦] استراتيجيات الخطاب: ٤٧٢.

[٢٢٧] اللغة والحجاج: ٧٣.

إن العوامل الحِجَاجية لا تربط بين متغيرات حجاجية (بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج) كما هو الحال في الروابط الحِجَاجية، ولكنها تقوم بحصر الإمكانيات الحِجَاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريباً، كاد، قليلاً، كثيراً، ما ... إلا، وجل أدوات القصر[٢٢٨]، وقد عُرِّف العامل بأنه وحدة حجاجية إذا تم إعمالها في ملفوظ معين، فإن ذلك يؤدي إلى تحويل الطاقة الحِجَاجية لهذا الملفوظ، وهذا التحويل الذي يحدثه العامل الحِجَاجي في المحتوى الدلالي (الملفوظ) الذي يرد فيه لا يكون مستمداً من القيم الخبرية التي يضيفها هذا العامل، بل من مجرد وظيفته التحويلية الحِجَاجية الخالصة[٢٢٩]، وعليه فإن العامل الحِجَاجي يؤدي دوراً أساسياً فِي الخطاب الحِجَاجي، فلا يمكن الحديث عن الحِجَاج اللغوي دون ذكر قيمة العامل؛ لأنه يشكل المؤشرات المحددة للمعنى على وفق طاقته الإقناعية، ومن بين تلك العناصر أو الوحدات التي تدخل على الإسناد: الحصر، والاستثناء المفرغ، والشرط والجزاء وغيرها .

---

[٢٢٨] ظ: اللغة والحجاج: ٢٧؛ الخطاب والحجاج: ٥٦.

[٢٢٩] ظ: الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية: ٢/٩٨-٩٩.

وترجع كلمة مغالطة (سفسطة) [*] إلى إحدى الركائز الأساسية للفكر السفسطائي في القرن الخامس قبل الميلاد، وتعني هذه الكلمة في معناها الاشتقاقي الحكيم والرجل ذا الكفاءة المميزة في كل شيء [٢٥٠]. ومن اهم المبادئ التي سنّها السفسطائيون تشريع الألاعيب القولية والحيل الْخِطَابية في كسب القضايا وهذا الى جانب مبدأ اخر يمكن عده كشعار كانت تلوح به هذه الحركة لتخمد به حركة الفلاسفة الذين أهملوا الانسان في البداية ليقولوا ان الانسان مقياس كل شيء خاصة في فنون الجدل والْخِطَابة. وتقابل السفسطة في اللغة الفرنسية **(SOPHISME)** التي تعني استدلالا منطقيا و ظاهرا فقد صُممّ بنية التضليل و الخداع في معجم تحليل الْخِطَاب ل باتريك شاردوا و دومينيك (مانغونوفالصوفيزم) تعني الْخِطَاب المحرج والكاذب و التلاعب الذي يخدم مصالح صاحبه وأهوائه.

أما في اللغة العربية فقد ترجمت (صوفيزم) الى (سفسطة)، مغالطة حجة معوجة و تضليل تدل على الكلام الذي يبدو في الظاهر سليما و منطقيا و ذا مقاصد حجاجية في حين أنه ينطوي على جوانب تمويهية . و هناك من جعل المغالطة وسيلة لنصرة فكره و مذهبه فكان الاهتمام بالبلاغة لقدرة البيان على التمويه و الخداع و هو موقف استحسنه النقاد فيما بعد[٢٥١]، إذ أصبحت البلاغة تعرف على إنها: كشف ما غمض الحق و تصوير الحق في صورة الباطل [٢٥٢]، فقياس بلاغة البليغ و علو شانه بـ (تحسين ما ليس بحسن و تصحيح ما ليس بصحيح بضرب من الاحتيال و التحيل ونوعا من العلل والمعاريف والمعاذير ليخفي موضع الإشارة ويغمض موقع التفسير[٢٥٣]، وهذا إن دلّ على شيء فهو

(*) عُرف مفهوم السفسطة عند اليونانيين: وكان اسم (سوفيست) يدل في الأصل على المعلم في أي فرع كان من العلوم والصناعات: وبنوع خاص على معلم البيان: ثم لحقه التحقير في عهد سقراط وأفلاطون: لأن السفسطائيين كانوا مجادلين مغالطين وكانوا متاجرين بالعلم. ظ: تاريخ الفلسفة اليونانية: ٥٧-٥٨.

[٢٥٠] الحجاج مفهومه ومجالاته: ٢٠١٠: ٢٠٠.

[٢٥١] ظ: الحجاج والمغالطة: دراسة تداولية في سورة الفرقان: ٣١.

[٢٥٢] ظ: كتاب الصناعتين: ٥٣.

[٢٥٣] م. ن: ٥٣.

يدلّ على أسبقية القدماء في تحرير المغالطة من المجال المنطقي الذي حصرها في أرسطو والاشتغال عليها في مجال اللغة العادية و الفنية.

وهناك من النقاد من وازن بين المغالطة والكذب المباح بشرط أن تكون الغاية من ورائها أخلاقية أو دينية، وهو مفهوم مواز للقصدية وهي التي تحدث الفرق بين الغلط والتغليط فالغلط هو الذي يكون بدون قصد، أما التغليط فهو الذي يتعمد فيه المغالط إحداث هذا الخرق [٢٥٤].

فالمغالطة الحِجَاجية هي استدلال فاسد أو غير صحيح يبدو وكأنه صحيح، لأنه مقنع سيكولوجيا لا منطقيا، على الرغم مما به من غلط مقصود [٢٥٥].

وقد التفت **ابن الأثير** إلى الاستعمال المغالطي الْمُخَادع للبلاغة حيث يقول في باب الاستدراج: **((وهذا الباب أنا استخرجته من كتاب الله تعالى وهو مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال والكلام فيه وإن تضمن بلاغة فليس الغرض ها هنا ذكر بلاغته فقط بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم وإذا حقق النظر فيه علم أن مدار البلاغة كلها عليه لأنه انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض الْمُخَاطب بها والكلام في مثل هذا ينبغي أن يكون قصيرا في خلابه لا قصيرا في خِطَابه فإذا لم يتصرف الكاتب في استدراج الخصم إلى إلقاء يده وإلا فليس بكاتب ولا شبيه له إلا صاحب الجدل فكما أن ذاك يتصرف في المغالطات القياسية فكذلك هذا يتصرف في المغالطات الْخِطَابية))** [٢٥٦]. كما ناقش **أمبرتو إيكو** الغاية الْمُخَادعة للبلاغة، في عرضه لنظرية إنتاج العلامة، مشيراً إلى استعمال الصور البَلاغيّة التحسينية بغرض الْمُخَادعة ومنافاة الحقيقة، إذ ينتج استعمال الصور البَلاغيّة خِطَاباً أيديولوجياً مخادعاً تُصنف فيه أشكال الدعاية الْمُخَادعة التي تستهدف إقناع العامة، ومن ثم وصمت البلاغة بسمعة سيئة في القرنين الماضيين بسبب الطريقتين اللتين كان يُنظر بهما إلى فكرة الصور البَلاغيّة

---

[٢٥٤] ظ: الحجاج والمغالطة: دراسة تداولية في سورة الفرقان: ٣١.

[٢٥٥] ظ: اللسانيات والحجاج: الحجاج المغالط: نحو مقاربة لسانية وظيفية: ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ٣ / ٢٧٢.

[٢٥٦] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢٦٠.

[٢٥٧] . ويستعمل في هذه المغالطات حجج عديدة فإذا كانت مقدمات الحجة قائمة على خطأ غير مقصود فهي **(غلط)** من الغلط، فإذا ظهر هذا الغلط في المقدمات، رفضت الحجّة وردّت على صاحبها، مع إبانة وجه غلطه فيها.

وإذا كانت مقدمات الحجة قائمة على خطأ مقصود مغلف بما يوهم أنه حق، من أجل التمويه والتضليل، فهي **(مغالطة)** من المغالطات، والغرض منها إبطال الحقائق، ويصطنعها أهل الباطل، وهي محرّمة في الإسلام. وهذه الأخيرة درجت كثيرا في خِطَابات المُسْتَكبِرين وتنوعت صيغها وأساليبها وصورها[٢٥٨]، فقد استعملوا مرتكز السلطة والقوة في تعزيز موقفهم الرافض وهي مرتكز باطل، ففي قوله تعالى: **﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٨).**

اتضحت حجة السلطة في خِطَابهم لنبيهم شعيب فجوابهم عن حجة شعيب جواب المفحم عن الحجة، الصائر إلى الشدة، المزدهي بالقوة، المتوقع أن يكثر معاندوه، فلذلك عدلوا إلى إقصاء شعيب وأتباعه عن بلادهم خشية ظهور دعوته بين قومهم، وبث أتباعه دعوته بين الناس، فلذلك قالوا: لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا وإيثار وصفهم بالاسْتِكبَار هنا دون الكفر، مع أنه لم يحكِ عنهم هنا خِطَاب المستضعفين، حتى يكون ذكر الاسْتِكبَار إشارة إلى أنهم استضعفوا المؤمنين كما اقتضته قصة ثمود، فاختير وصف الاسْتِكبَار هنا لمناسبة مخاطبتهم شعيبا بالإخراج أو الإكراه على اتباع دينهم، وذلك من فعل الجبارين أصحاب القوة[٢٥٩]. وحجتهم هذه فاسدة وباطلة مبنية على غلط، استعملوها لتوجيه حوارهم للتهديد وهذا الاسلوب غالبا ما يتسم به خِطَاب المُسْتَكبِرين.

واتضحت ايضا اساليبهم المغالطية باستعمال حجة القوة كما في حجاج عاد، فقد جاء في قوله تعالى: **﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ**

---

[٢٥٧] السيمياء وفلسفة اللغة: أمبيرتو إيكو، عرض، أنطوان أبو زيد، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، ع/٥: ١٩٨٩م.

(٢٥٨) ظ: المغالطات في ردود منكري الرسالات في القرآن الكريم : أيمن خميس أبو مصطفى، مجلة سياقات ، الجزائر، مج٢، ع٥، ٢٠١٧ .

[٢٥٩] ظ: التحرير والتنوير: ٩/٥.

يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (فصلت: ١٥) فهم قد اغتروا بقوة أجسامهم وعزة أمتهم وادعوا أنهم لا يغلبهم أحد، وهو معنى قولهم: من أشد منا قوة فقولهم ذلك هو سبب استكبارهم لأنه أورثهم الاستخفاف بمن عداهم، فلما جاءهم هود بإنكار ما هم عليه من الشرك والطغيان عظم عليهم ذلك لأنهم اعتادوا العجب بأنفسهم وأحوالهم فكذبوا رسولهم... فكان اغترارهم بقوتهم هو باعثهم على الكفر، كما تتضح تلك السلطة فِي خِطَاب المُسْتَكبِرين واحتجاجهم بأولادهم وأموالهم، يقول تعالى على لسانهم: **﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (سبأ: ٣٥).**

فيُلحظ أنهم استعملوا كثرة الأولاد والأموال كناية عن قوتهم وسلطتهم فاغتروا واستكبروا بها وجعلوها حجة لهم وتمويها على أنهم اهل حظ عند الله تعالى، وجاء هذا المعنى في تفسير ابن عاشور إذ يقول: وقفوا على صريح كفرهم بالقرآن وغيره من الشرائع بكلام كنوا به عن إبطال حقية الإسلام بدليل سفسطائي فجعلوا كثرة أموالهم وأولادهم حجة على أنهم أهل حظ عند الله تعالى، فضمير و (قالوا) عائد إلى الذين كفروا من قوله: **﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ ﴾ [سبأ: ٣١]** . وهذا من تمويه الحقائق بما يحف بها من العوارض فجعلوا ما حف بحالهم في كفرهم من وفرة المال والولد حجة على أنهم مظنة العناية عند الله وأن ما هم عليه هو الحق. وهذا تعريض منهم بعكس حال المسلمين بأن حال ضعف المسلمين، وقلة عددهم، وشظف عيشهم حجة على أنهم غير محظوظين عند الله.

ومن المغالطات التي يستعملها المُسْتَكبِرون الدالة على استكبارهم أن يطلبوا مالا يمكن حدوثه ؛ لكون الرسول بشرا، أو لكون ما يطلبونه يخالف سمت صاحب الرسالة، قال تعالى: **﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٠ – ٩٣)** وقد جاء تنبيه القرآن للنبيﷺ من نوعية هذه الحجج، فقال تعالى **﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً فَأَخذتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً ﴾ (النساء١٥٣) .**

وهذه المغالطة تحركها المكابرة التي يعرفها الشريف **الجرجاني** بقوله: ((وهي المنازعة في المسألة العلمية لا لإظهار الصواب بل لإلزام الخصم، وقيل هي مدافعة الحق بعد العلم به)) [٢٦٠]. فالمعاندون حينما يعجزون عن رد الحجة بالحجة يحاولون أن يوجهوا الحوار نحو أي وجهة يستحيل معها الإذعان أو قبول الرأي الآخر. وتكون بغاية الوصول إلى إغلاق باب الحوار، بحيث لا يترك طريقا لمحاولة الاقتناع. فضلا عن ذلك فهم يستعملون أسلوبا مغالطا اخرا في فرض حججهم وتمويه الْمُخَاطب وخداعه باستعمال دليل فاسد،

ومن الحجج المغالطية قول قوم لوط فيما حكاه الله عنهم: **﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ (الأعراف :٨٢)** ، **﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ (النمل :٥٦)** فإن حجتهم مخادعة، فالحجة ((إنهم أناس يتطهرون)) ، فهم يقولون إن لوطًا ومن تبعه أناس يتنزهون عما نفعله نحنُ، فقد عابوهم بغير عَيْب، وذمُّوهم بغير ذَمّ. ويسمى هذا النوع في علم البيان التعريض بما يوهم الذم وهو مدح [٢٦١] وقال الزمخشري: وقولهم إنهم أناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشيطان من الفسقة لبعض الصلحاء إذ وعظهم أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد [٢٦٢].

ومن المغالطات الباطلة أيضا قولهم: **﴿قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾(هود: ٩١)**، فإنهم يزعمون أنهم لا يفقهون ما يقوله لهم، وعدم فقههم له حجة لإعراضهم، برغم أن شعيبا منهم يحدثهم بلغتهم، ويأتيهم بالحجج والبراهين، ويدعوهم للقيم والأخلاق.

ومرادهم من هذا يحتمل أن يكون قصد المباهتة كما حكى الله عن المشركين:**﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ (فصلت: ٥)** [٢٦٣]، أو كانوا يفهمونه

---

[٢٦٠] التعريفات: ٢٢٧/١.

[٢٦١] البحر المحيط: ٥/ ١٠٢.

[٢٦٢] الكشاف: ١٢٦/٢.

[٢٦٣] ظ: التحرير والتنوير: ١٤٨/١٢.

ولكنهم لم يقبلوه، فكأنهم لم يفقهوه، أو قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه إذا لم يعبأ بحديثه: ما أدري ما تقول[٢٦٤]. بل إنهم استندوا إلى حجة باطلة آخرى فقالوا:

﴿ فمَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ **(هود:٢٧)** فمادام لم يتبعك إلا الأراذل ،فهذه حجة لنا في ترك ما تدعونا إليه.

ومن أساليب المغالطة التي اتخذها المُسْتَكبِرون سبيلا وحجة اسلوب التحقير والاستهزاء بالأنبياء والمرسلين من خلال التشكيك بدعوتهم وادعاء السحر والجنون عليهم ففي قوله تعالى:

﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ **(الأنبياء:٣٦)، وقال الزمخشري:((والجملة في موضع الحال، أي- يتخذونك هزوا-، وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله))** [٢٦٥] .

وهذا وصف آخر لما يؤذي به المشركون رسول الله صلى الله عليع وسلم حين يرونه فهو أخص من أذاهم إياه في مغيبه، فإذا رأوه يقول بعضهم لبعض: أهذا الذي يذكر آلهتكم. والهزؤ –بضم الهاء وضم الزاي–مصدر هزأ به، إذا جعله للعبث والتفكه. ومعنى اتخاذه هزؤا أنهم يجعلونه مستهزأ به فهذا من الإخبار بالمصدر للمبالغة ... وقد انحصر اتخاذهم إياه عند رؤيته في الاستهزاء به دون أن يخلطوه بحديث آخر في شأنه[٢٦٦].

وقد استعملوا اسلوب الاستفهام للتعجيب ثم خاطبوه باسم الاشارة هذا للاستهزاء به فجاء خطباهم متسما بأسلوب السخرية وهو من اساليب المُسْتَكبِرين في الرد على رسلهم. كما استعملوا البهتان في مغالطتهم الرسول ﷺ: أذ طلبوا منه أن يأتي بمعجزة غير القرآن وذلك باستعمال السحر كما حصل مع الرسل السابقين، يقول تعالى: ﴿بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾ **(الأنبياء: ٥)**

---

[٢٦٤] ظ: البحر المحيط: ٦/ ٢٠١

[٢٦٥] الكشاف: ١/ ١١٧.

[٢٦٦] ظ: التحرير والتنوير: ١٧/ ٦٥–٦٦.

اذ جاء في تفسير هذه الآية المباركة: **((... ومن البهتان أن يسألوا الإتيان بآية يكون الادعاء بأنه السحر أروج في مثلها فإن من أشهر أعمال السحرة إظهار ما يبدو أنه خارق عادة. وقديما قال آل فرعون في معجزات موسى: إنها سحر، بخلاف آية إعجاز القرآن))** [٢٦٧]. وهكذا شأن المبطل المحجوج، لا يزال يتردد بين باطل وأبطل، ويتذبذب بين فاسد وأفسد [٢٦٨].

فادعاء إتيان الأنبياء بالسحر ، وإقناع الناس بالمقولات الإلهية استنادا على سحر الأنبياء ، إنما هو نوع من الحجج المغالطية التي اشتغل عليها خطاب الاستكبار ، وحاول عن طريقها التقليل من شأن الخطاب الإلهي ،وتقليل أثره في المتلقين .

لقد كان الخطاب الحجاجي الاستكباري مثالالعناية الخطاب ، بدلالة الألفاظ ، إما لأجل التأثير في المتلقي ، أو لتغيير بعض دلالات الألفاظ ، ومنحها بعدا دلاليا مختلفا.وهذا كله يخدم فكرة أن الحجاج من أنصع مايمكن أن يلحظ في المستوى الدلالي لأسلوبية خطاب الاستكبار في النص القرآني .

المبحث الثاني

الْخِطَاب القصصي

إنّ دراسة القصة القرآنية بوصفها نصّا أدبيا تخضع للمنهج الأدبي ، وعليه فإن الخطاب القصصي **(موضوع البحث)** يندرج ضمن الخطاب **(السردي)** الذي يتعامل مع القصّة الأدبية بوصفها نصّا حكائيا **(سرديا)** مع الاحتفاظ بالمنطقة المقدسة التي تمتاز بها القصة القرآنية، ولإيجاد مقاربة تتجه نحو إظهار الخطاب القصصي القرآني بوصفه خطابا **(حكائيا)** سرديا، لابدّ للبحث من إضاءة على المسلك الإجرائي الذي سينطلق منه في تحليل الخطاب القصصي أسلوبيا لبيان

---

[٢٦٧]تحرير التنوير: ١٦/ ١٧.

[٢٦٨] محاسن التأويل: ١٧٧/٧.

الأثر الدلالي الذي يحمله خطاب الاستكبار بتمظهره القصصي المُجَسِّد لتجارب المستكبرين ، على مستوى الأسلوب والفكر والوجود؛ لذا تحاول هذه المقاربة بلورة فرضيتها على ضوء ما جاء في الدراسات التي عُنيتْ بالتقنيات السردية، والتي تعد النص الروائي مظهرا من المظاهر الدلالية[٢٦٩] لاسيما تلك التي اختصت بتحليل الخطاب السردي، وذلك اعتمادا على محاور أو مقولات ثلاث ، يرتبط المحور الأول بالبنى الزمنية للخطاب ، والثاني يهتم بتمظهر الصيغ الخطابية ، أما الثالث فيتجه للعناية بالمنظور السردي أو ما يسمى بالتبئير أو زاوية النظر أو الرؤية السردية .

أن هذه المقاربة يمكن ان تتم في إطار التحليل الأسلوبي الذي يجعل منها وسيلة لقراءة خطاب الاستكبار في ضوء القصص القرآني بحسب المعطيات الخطابية المتوافرة في النص القرآني ؛ لذلك ستنفتح الدراسة على مستويات الخطاب **(القصصي)** لبيان الأثر والمظهر الدلالي له .

وعليه اتجهت الدراسة إلى تمييز الخطاب القصصي الاستكباري في القرآن الكريم من حيث هو **(حكاية)** ، تحتوي على قصة ما تضم أحداثاً معينة، **من جهة ، والطريقة** التي تحكى بها تلك القصة والتي تسمى **سرداً** . لذا ستضع الدراسة يدها على الأثر الأسلوبي لخطاب الاستكبار في القصص القرآني، الزاخر بالخطابات الاستكبارية بالاعتماد على ما قدمته الدراسات النقدية السردية في الإطار النظري، إذ يرى (جيرار جينيت) أنّ الحكي هو مادة حكائية تظهر في شكل التعبير، بينما السّرد هو طريقة توصيل تلك المادة الحكائية [٢٧٠]. وخطاب الاستكبار بوصفه خطابا ينطلق من مرجعية آيدلوجية يلحظ أنّ كل كلمة جاءت فيه مملؤة باستعمالات اجتماعية وثقافية لا يمكن تحليلها إلا باللّجوء إلى الأسلوبية على حدّ قول باختين في كتابه (الكلمة في الرواية) مضيفا لها السوسيولوجية [٢٧١] ، ذلك أنّ " **جميع**

([٢٦٩]) ظ : في تقنية الرواية بحث في تقنيات السرد : ٤٠

[٢٧٠] تحليل الخطاب الروائي: ٣٠.

([٢٧١]) ظ : الكلمة في الرواية : ٦١.

النظريات البلاغية تصبح بلا معنى إذا فقد البناء الدلالي والتركيبي للخطاب علاقته بتأثيراته الاجتماعية" [٢٧٢].

لذلك سيعمد البحث الى توجيه خطاب الاستكبار في القصص القرآني توجيها سرديا يرتبط بالمضامين التي كونها الخطاب من خلال تحليله أسلوبيا على وفق مكونات الخطاب السردي (القصصي) الثلاثة التي اقتصر عليها النقاد في دراستهم للخطاب الروائي وهي : الرؤية ، والصيغة والزمن .

إذ يذكر سعيد يقطين أن هذه المكونات أو العناصر السردية لا تتوقف عند حدود المظهر التركيبي أو النحوي ، بل لابدّ من توسيعه وتجاوزه إلى ما أسماه تودوروف في حديثه عن المستويات[٢٧٣] بالمستوى الدلالي ، الذي يمثل توسيعا للمظهر النحوي وليس إلغاء له أو قطيعة معه ، فضلا عن الجانب الفعلي لذي يهتم بالصيغة والزمن والرؤيات والصوت [٢٧٤].

لا سيما أن القصص القرآني لا يختلف كثيرا عن القصص الفني ، فهما يشتركان في كونهما يقومان على عناصر وتقنيات تتشكل بها القصة بوصفها تعبيرا عن حادثة معينة مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصية القصة القرآنية وطريقة أدائها ومضمونها لذلك سوف نقوم بدراسة تلك العناصر التي تشكل منها خِطَاب القصة القرآنية ونبّين كيف تجلى فيها من خلال الشخصيات المُسْتَكبِرة والحوارات التي كشفت عن دلالة الاسْتِكبَار .

([٢٧٢]) النقد الاجتماعي : ١٨٩.

([٢٧٣]) طرح تودوروف تصورا كاملا عن مقولات الحكي الأدبي في كتابه (البويطيقيا) بطبعة ١٩٧٣، مستفيدا من جهود جينيت في كتابه (خطاب الحكي) ١٩٧٢، فأشار إلى أن النص الأدبي يتحدد من خلال ثلاثة جوانب مركزية هي : الدلالي والتركيبي والفعلي (اللفظي) ، وهي نابعة من تقسيم البلاغة الكلاسيكية لحقولها الثلاثة : (الفعلي ، التركيبي ، الدلالي) ، فضلا عن أن الشكلانيون الروس وزعوا دراساتهم الأدبية إلى ثلاثة : أسلوبية وتركيبية وغرضية . ظ : تحليل الخطاب الروائي : ٣٥.

([٢٧٤]) ظ : تحليل الخطاب لروائي : ٥١-٥٢.

وكل هذا سوف نحاول دراسته ضمن ثلاثة نماذج مثلت فاعلية الاسْتِكبَار بشكل جلّيٍ في القصص القرآني، إذ تمثل خِطَاب الاسْتِكبَار في ثلاثة نماذج ظهرت بأنواع متعددة في القصص التي تضمنت تصويرا لخِطَاب المُسْتَكبِرين، فظهرت في نموذج إنسان بهيأة الفرد أولا مثل (فرعون) و(قارون)، وثانيا بهيأة الجماعة (الأقوام)، وظهرت ثالثا في نموذج الشيطان (إبليس)، وسنبيّن هذه النماذج ونكشف اسلوب الْخِطَاب الاسْتِكبَاري الذي تجسد فيها.

أولا : الرؤية (منظور الخطاب) :

يعد هذا المكون من أهم مكونات الخطاب السردي ، إذ تزايدت الدراسات التي تناولته على الصعيد النظري والتطبيقي ، وهذه الأهمية نابعة من ((**ارتباطه بوثوق بأحد أهم مكونات الخطاب السردي وهو الراوي وعلاقته بالعمل السردي بوجه عام**))[٢٧٥] ، وقد عرف بتسميات عديدة ، وأصبحت له مجموعة لفظية يسمى بها ، ومنها: **وجهة النظر**[٢٧٦] ، **التبئير** (Focalisation) [٢٧٧]، **طبيعة السرد** (Mood)[٢٧٨] ، وهذه الخاصية لم تتح لأي من المصطلحات المركزية التي استعملت في تحليل الخطاب، إذ مرّ تطور هذا المفهوم في الكتابات النقدية

([٢٧٥]) تحليل الخطاب الروائي : ٢٨٣.

([٢٧٦]) ويقصد بها : الوضع التصوري والمفهومي الذي يتم وفقا لشروطه عرض المواقف والوقائع . ظ : خطاب الحكاية : ١٧٩.

([٢٧٧]) مصطلح التبئير يعني زاوية الرؤية أو وجهة نظر الملاحظ ، والمقصود به عملية جعل العنصر أو المكون بؤرة في الكلام ، وقد استعمل مصطلح البؤرة والتبئير في اللسانيات التداولية قبل أن ينتقل إلى ميدان الرواية والنقد الروائي . ظ : علم السرد (مدخل إلى نظرية السرد): ٧٧-٧٨.

([٢٧٨]) ويقصد به : مجموعة الكيفيات : وخاصة المسافة أو الطريقة أو المنظور أو وجهة النظر التي تنظم معلومات السرد ، وطبيعة السرد تتوقف بشكل رئيس على ما إذا كان الغالب هو الإظهار أو الإخبار وكذلك يتوقف على ما اذا كان الغالب هو التبئير الخارجي او الداخلي . ظ : علم السرد : ٧٨.

بمرحلتين أساسيتين: الأولى، بدأت مع النقد الأنجلو- أمريكي ، واستمرت إلى أواخر الستينيات وخلالها احتل مركز الصدارة في تحليل الخطاب الروائي ، والمرحلة الأخرى ، بدأت مع بداية السبعينيات ، مع التطور الذي توج بظهور السرديات ، وخلالها اتخذ موقعه المتميز ضمن هذا الاختصاص[٢٧٩].

ويعد جون بويون من أبرز المنظرين للمنظور السردي ، وكتابه (الزمن والرؤية)، يعد من أهم الدراسات التي تناولت الرؤية السردية بنوع من الانسجام والتكامل [٢٨٠] ، واستنتج ثلاث رؤىً هي : (الرؤية مع ، الرؤية من الخلف ، الرؤية من الخارج) حيث أثرت نمذجته لأنماط الساردين في النماذج اللاحقة لها، فتودوروف استعمل اسم (مظهر) ليحيل على النظرة التي تصدر عن السارد بصفته وسيطا بين القارئ والقصة ؛ وعلى أساسها يضع تصورا لأنماط الإدراك الثلاثة التي طورت تصنيفات بويون :

١-السارد يعرف أكثر مما تعرفه الشخصية.

٢-السارد يعرف ما تعرفه الشخصية.

٣-السارد يعرف أقل مما تعرفه أي شخصية

ثم جاء جيرار جينيت ووضع ثلاث تقسيمات للتبئير :

١-التبئير اللامبأر أو التبئير الصفر .

٢-التبئير الداخلي .

٣-التئير الخارجي .[٢٨١]

وسيكون مجال البحث على وفق الرؤية السردية للقصص الواردة في القرآن الكريم والتي تضمنت خطابا استكباريا ، وسوف تعتمد الدراسة على تسميات استعملها الدارسون [٢٨٢] في التعبير عن الؤية السردية في القرآن الكريم .

([٢٧٩]) ظ : م . ن : ٢٨٤.

([٢٨٠]) ظ : تحليل الخطاب الروائي : ٢٨٧.

([٢٨١]) التجريب في لرواية العربية المعاصرة : ١٢ – ١٣.

١-الرؤيـة المحيـادة : فـي هذه التقنيـة يـتم تنظـيم الحكـي مـن موقـع خـارجي ، بينما تترك شخصيات السرد تتحدث بأصواتها من دون تدخل .

٢-الرؤة الذاتية : يتم من خلالها حكي الأحداث الفاصلة في القصص ، تلك التي تحتاج إلى قوة قاهرة متصرفة ، مث عملية الخلق ، وإرسال الرسل ، وإنجاء المؤمنين ، وإهلاك الكافرين .

٣-الرؤيـة الذاتيـة المحايـدة : هذه الرؤيـة تجمـع بين الـرؤيتين السـابقتين ، مـع غلبـة الذاتيـة فيهـا ، وشكلها الأمثل ، حيث يـأتي قول الحق سبحانه من خلال ضمير لعضمة الذي يأتي فاعلا في القصة والسرد على السواء .

٤-الرؤيـة المحايـدة الذاتيـة : وهـي علـى عكس السـابقة ، تغلـب فيهـا الرؤيـة المحايدة ، وتتمثل في نقل معنى الكلام لا نصّه.

وفي خطاب الاستكبار تنوعت الرؤية السردية بحسب مواضع ورود القصص القرآنـي التـي تضـمنت خطابـا اسـتكباريا ، ففـي قصـة إبلـيس واسـتكباره علـى آدم وعصيانه أمر الله تعالى، نلاحظ أن هناك جانبان في استكبار 'بليس تكشف عنه أسلوبية الرؤية الذاتية مرة وأسلوبية الرؤية المحايدة مرة، يتمثل في (استكبار إبليس على الله تعالى) من خلال عدم الامتثال لأوامره، وتكشفه الآيات التالية المتضمنة للرؤية الذاتية:

١. **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]**

٢. **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الاسراء: ٦١]**

٣. **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]**

---

(٢٨٢) ظ : خصائص السرد القصصي في القرآن الكريم : محمد مشرف يوسف خضر ، مجلة حراء ، ع ٦ ، يناير- مارس ،٢٠٠٧ ، ٥٧وما بعدها ، وروائع قرآنية : دراسات في جماليات المكان السردي : عبد الله خضر حمد ، دار القلم للطباعة والنشر ، لبنان ، ط١ ، (د . ت) ، ٧٦-٧٨.

٤. ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ [طه: ١١٦]

في هذه الآيات جاءت رؤية ذاتية، تكشف عن استكبار ضمني في الآية الكريمة، إذ يبدأ الراوي أسلوب تقديم القصة بضمير الجماعة، فهي غالبا ما تلحق بنا الفاعلية كما في الآيات أعلاه.

أما الجانب الآخر فتضمن الرؤية المحايدة التي أضاءت على جانب مهم من الاستكبار وهو (استكبار إبليس على آدم)، وهذا ما وضحته الآيات الكريمة التالية:

١. ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الاسراء: ٦٢]

٢. ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا﴾ [الاسراء: ٦٣]

٣. ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الاسراء: ٦٤]

وكذلك ما جاء في قصة نوح في الآيات المباركة التالية:

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ، قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ، وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ، قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ، وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الاسراء: ١٠٦ – ١١١]

يلحظ ان القصة جاءت فيها الرؤية محايدة، حيث تحكي القصة من موقع خارجي لكن الصوت الذي تعرض الأحداث من خلاله هو صوت شخصيات الحكي، فالمنظور السردي داخلي (زاوية النظر داخلية)، وهي زاوية نظر الشخصيات، ومن ثم يجتمع الموقع الخارجي والمنظور الداخلي لتتكشف الأحداث من الداخل والخارج:

يلحظ من خلال ما جاء في الرؤية السردية في خطاب الاستكبار في القرآن الكريم، هيمنة الرؤية المحايدة على الحكي، حيث يتم تنظيم الحكي من موقع خارجي، فيبدأ الراوي – وهو هنا جزء من القصة – بنقل الأحداث، قم يدع شخصيات القصة هي من تتولى السرد، إذ يترك الشخصيات تتحدث بأصوات دون تدخل، وهذا الأسلوب في السرد يكشف دلالة الاستكبار بشكل أكبر من غيره من الأساليب، فحين يظهر لنا صوت المستكبر في القصة مستعملا ضمير المتكلم (العظمة) فهذا ينسجم مع دلالة الاستكبار، وبهذا الأسلوب يتمظهر لنا خطاب الاستكبار.

ثانيا: الزمن

يعد عنصر الزمن من العناصر الفاعلية في الخطاب السردي، إذ يشكل محورا مهما في العديد من الدراسات السردية، والشكلانيون الروس من الأوائل الذين اعتنوا بدراسة الزمن في العشرينيات من القرن العشرين، كما أنّ منطقهم يتأتى من تحليل العلاقات التي تنظم الأحداث وتربط بين أجزائها أثناء تمييزهم بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي، فتنبهوا إلى وجود نوعين من الزمن، إذ أشار **بعض الدارسين** إلى أهمية الزمن في العمل الروائي وضرورة تحليله انطلاقا من التمييز بين زمن المتن الحكائي وزمن الحكي، ويقصد بالأول افتراض كون الاحداث المعروضة قد وقعت في مادة الحكي أما زمن الحكي فيرى فيه الوقت لقراءة العمل أو مدة عرضه [٢٨٣].

والزمن في الاصطلاح السردي مجموع العلاقات الزمنية: السرعة، التتابع، البعد بين المواقف المحكية وعملية الحكي الخاصة بهما وبين الزمن والخطاب المسرود والعملية المسرودة [٢٨٤].

([٢٨٣]) تحليل الخطاب الروائي: ٧٠.

([٢٨٤]) البنية السردية في الرواية: ١٠٣.

وفي خطاب الاستكبار يلحظ أن الزمن يمثل دالا اسلوبيا مهما ساهم في تشكيل دلالة الاستكبار ومنحه أثرا اسلوبيا فاعلا ويُلحظ ذلك من خلال العديد من الآيات التي جاءت في سياق القصص القرآني ومنها ما جاء في قوله تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾قَالَ رَبِّ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ (سبأ: ٧١-٨٨)

يبدأ المشهد الأول في القصة بالآية الآتية: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ وهو يتضمن استباقا اعلانيا لما سيكون من خلق آدم من طين، ومن ثم تأتي الآية المتضمنة لطلب الله الملائكة أن يسجدوا له: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.

ثم يأتي الحذف الزمني لمدة إنجاز الخلق، أدى هذا الحذف وظيفة مهمة من خلال إضاءته جانبا من جوانب صفات الملائكة وهي إطاعة أوامر الله تعالى والتسليم له وذلك في الآية المباركة: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾، أما الإيجاز فتمثل في الآية المباركة: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ إذ يُلحظ أنّ الآية قد أوجزت أحداث سجود الملائكة واستكبار إبليس، ثم اختتمت القصة بمشهد حواري طويل بين الله تعالى وإبليس، إذ تضمن المشهد الأخير الْخِطَاب الاسْتِكبَاري على لسان إبليس ردا على الله تعالى إذ تجرّأ على عصيان الله تعالى ومعارضته وعدم السجود لآدم حتى بلغ الأمر مرحلة التمرد ثم التحدي ، وبررّ ذلك العصيان بأنه أفضل من آدم، فجاء ردّ الله تعالى بالطرد

واللّعن، ثم بدأ يُصَعِّد من التمرد ويجادل الله تعالى ويطلب الإنظار إلى يوم يبعثون والله تعالى يجيبه إلى طلبه ويتوعده ومن تبعه اجمعين: ﴿ **قَالَ رَبِّ انظرنى إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۝٨٠ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۝٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾ فجاء الجزاء بقدر الخطيئة: ﴿**قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾.

ويُلحظ تجلّي **التواتر السردي**، – وهو تقنية تطرأ في نص واحد وفي مسرودة واحدة، لكن التواتر في القرآن، خاصة في قصة آدم طرأ في مقطوعات متناثرة في أكثر من موضع وهذا التواتر السردي المتناثر في السور المختلفة، يمثل انزياحا سرديا يختص بالقرآن الكريم يساهم في توثيق الدلالة [٢٨٥]، وهنا جاء التواتر السردي المسمى **بالتواتر النمطي ، الذي يعني اختزال الراوي للزمن في جمل أو تعبيرات موجزة، موحية بطول الزمن ويقترن بالأحداث النمطية في الرواية ويعتمد هذا التواتر الزمني على التكثيف الشديد، فيعبر الراوي عن زمن مألوف تمر به الشخصية مرورا دوريا وذلك باستعمال جملة واحدة للتعبير عنه، فيسرد السارد مرة واحدة الأحداث التي تمر كل الأيام أو كل السنين** [٢٨٦]، إذ تمثل هذا التواتر النمطي فِي خِطَاب إبليس في المشهد الأخير الوارد في هذه الآية : ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ ، فيُلحظ هنا استعمال الفعل المضارع ﴿ **لأغوين** ﴾ الذي يُعَدُّ من أهم الاستعمالات التي لها أثر دلالي في أسلوب لخِطَاب لأن القصة تروى بالماضي فيفاجأ الْمُخَاطب بزمنيتها المضارعة، فاستعمال الفعل المضارع للدلالة على تجدد الأغواء واستمراره إلى يوم يبعثون، فهو يحمل بعدا مستقبليا ؛ فالمضارعة دليل استمرار الأحداث وتواترها، لأن بنية المضارع بنية متحركة، فاعلة للأحداث ومفعّلة له فهو زمن حي .

([٢٨٥]) ظ : التواتر السردي المتناثر في قصة آدم عليه السلام: علي باقر طاهري ، فرامرز ميرازي ، مرم بخشي، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية ، مج١، ع٣ ، ٢٠١٥،٣٧.

([٢٨٦]) آليات السرد في الرواية العربية المعاصرة : مراد عبد الرحمن مبارك ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٠، ٢٠٠.

ونلفتْ هنا إلى أن الفِعْل المضارع يدلّ على الاستقبال ببنيته الأساسية دون أن يكون مصحوباً بأية قرينة، سواء أكانت لفظية أم معنوية، أما إذا اتصلت به قرينة لفظية دالة على الاستقبال مثل نون التوكيد، فإن دلالته تتأكد في الاستقبال وهذا ما حصل في لفعل (لأغوين) فجاء مضارعا مقترنا بنون التوكيد فتأكدت دلالته على الاستقبال وهذا التأكيد يشير إلى ان أحداث هذه القصة وزمنيتها لم تنته، بل تجري في الزمن الحاضر وفي المستقبل البعيد إلى يوم البعث وإلى زمن لم يُدرَ وقته. ومما يسترعي الانتباه هنا أنه قد ((وضع الراوي مهمة الحوار على عاتق المتلقي بانفتاح النص إليه في نهايتها)) [٢٨٧]وهذا الأسلوب خالف القول بأن القصّة لكي تروى يجب أن تكون قد تمّت في زمن ما، غير الزمن الحاضر؛ لأنه من المتعذر أن تحكى قصة لم تكتمل أحداثها بعد [٢٨٨].

وهذا مما ينفرد به أسلوب الْخِطَاب القصصي في مستواه الدلالي فالقصة ماضية مستعادة، والأغواء متجدد مستمر؛ فبدأت القصة بالفعل الماضي ثم لا تنتهي بل تنفتح على المستقبل إلى يوم القيامة. فحاضر إنجاز السرد بعيد جدا عن واقع القصة التاريخي، لكنهما يتزامنان في المشهد حيث يصبح زمن السرد هو نفسه.

وفي موطن آخر نجد الزمن السردي في الآية المباركة:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ١١ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ١٢ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ١٣ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ١٥ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ

([٢٨٧]) الراوي وحوارية الرواية في حجر الضحك : اكرم روشنفكر ، مجلة العلوم الإنسانية الدولية ، مج٢ ، ع ٢٠، ٢٠١٣م، ١٧-١٩.

([٢٨٨]) شعرية الخطاب السردي : محمد عزام ، اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، ط١، ٢٠٠٥،١٠٩.

وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ١٧ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ١٨ ﴾

يُلحظ أنّ الآيات تبدأ بخِطَاب الله تعالى للناس: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ**﴾ ثم يأتي بيان ما طلب من الملائكة: ﴿ **ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ**﴾ تضمنت هذه الآية لحظات إنجاز سردي سريعة تمثلت أولا في الخلق، وثانيا: في التصوير، وثالثا في سجود الملائكة وامتناع إبليس .

وفي لفظ (خلقنا) ثمةتوظيف **للاسترجاع أوالاستذكار** [٢٨٩]، وهو يفيد التذكير، وهذا الفِعْلُ الاسترجاعي جاء مقرونا ب الضمير (كم) ، واسترجاع الحدث هنا يقصد به العودة إلى أولية الصراع بين الاستكبار وماهو رسالي ، ومن ثم جاءت اسلوبية السرد الاسترجاعي للإشارة إلى جذر من الجذور التي أسس عليها خطاب الاستكبار ، وهو سرد ينتهي إلى هزيمة خطاب الاستكبار كما في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ** ﴾.

ثم جاء بعد ذلك مشهدا حواريا طويلا بين الله تعالى وإبليس تجلى فيه خِطَاب إبليس المُسْتكبِر بأسلوب التواتر السردي: ﴿ **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴿١٨﴾** ﴾.

(الأعراف: ١٢-١٨)

---

(٢٨٩) يعد الاسترجاع أو الاستذكار: تقنية زمنية يستطيع السارد من خلاله الرجوع بالذاكرة إلى الوراء سواء في الماضي القريب أو الماضي البعيد. ظ: تحليل الخطاب السردي : عبد الملك مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط١، الجزائر ،١٩٩٥ ، ٢١٧. ظ : البنية السردية في الرواية : ١١٨.

في هذا النص السردي يُلحظ أن هناك تواترا حول خروج إبليس فقال الله مرة ﴿فَاهْبِطْ﴾ ومرة ﴿فَاخْرُجْ﴾ إذ إن حدث الخروج حدث مرة واحدة، لكن تواتر سرده جاء مرتين بعبارتين مختلفتين ﴿فَاهْبِطْ ، فَاخْرُجْ﴾ ؛ لأن أفعال الإخراج إذا كانت منوعة الصياغة ولها دلالة واحدة كان لها أثر أقوى من الواحدة في الدلالة، ثم جاء خِطَاب إبليس متواترا أيضا بإيتاء الجهات الأربع: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٧)

وخِطَابه هذا المُسْتَكبِر والمتحدي والمتمرد فيه نوع من التكرار يؤدي إلى تأكيد الدلالة، إذ يُلحظ ان ثمّة فعلا يكرر كثيرا هو إغواء إبليس لآدم وذريته، وإبليس لا يدّخر وسعا في سبيل ذلك؛ ويعبّر السّرد عن ذلك بتكرار الإغواء في كل مرة بشكل مختلف، لا سيما أنه يستعمل الفِعْل المضارع مؤكدا بالنون ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾ ، ﴿لَآتِيَنَّهُمْ﴾؛ ليدل على الاستمرار الحدثي، وهو بدوره أدى إلى انزياح الحدث خارج زمن القصة. ثم تواتر بيان الخروج في موضع آخر: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فكررت هنا ﴿اخْرُجْ﴾ التي أشرنا لها قبل قليل، فهذا التواتر الأسلوبي المتشكل في حوار الله مع إبليس يعمل على إيقاظ الْمُخَاطَب واسترعاء انتباهه، كما أنّه يُعَدُّ من أطول وظائف السّرد في قصّة آدم ﷺ ؛ لأنه يعطي دلالة عميقة في فاعلية الاسْتِكبَار في الحياة فمنذ أزمان بعيدة وقف إبليس من ربه موقفا أدى إلى طرده من رحمة الله أو من الجنّة فتوعد أبناء آدم من بعده بإغوائهم إلا المخلصين منهم ؛ ولأهمية هذا جاءت هذه الأحداث في صيغة الْخِطَاب المعروض التي تنقل الموقف بكل تفاصيله إلى المتلقي، وينتهي هذا المشهد الْخِطَابي الطويل بإخراج إبليس مذؤوما مدحورا متوعدا ومن تبعه، من بعد ذلك يأتي مشهدا آخرا يتضح فيه ما كان من حدث إغواء الشيطان لآدم وزوجه: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ

عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (الأعراف: ٢٠-٢٢) ، فيُلحظ أن هذا الحدث (حدث الوسوسة) يُعَدُّ مشهديا بالرغم من كون الحوار هو الشكل الأكثر تمثيلا للمشهد لأن: " **السرد المفصّل لحدث ما يجب اعتباره كذلك مشهديا** " [٢٩٠]، فالمفارقة الزمنية التي بدأ بها السرد، يتقلص مداها البعيد مع المشهد الحواري بين الله تعالى وإبليس حيث يتزامن كل من المبنى الحكائي والمتن الحكائي حتى نهاية الحكاية، التي تبدأ تنفتح على زمن آخر لاحق لزمن جريانها .

إن من أهم ملامح زمنية سرد خطاب الاستكبار في القرآن الكريم ، تتحقق في شيوع أسلوبية زمن الاسترجاع ؛ وهذا لا يعود إلى ماضوية الحدث الاستكباري المسرود ، فحسب ، بل يعود إلى أن في استعادة الأصول الإستكبارية ، واستدعاء أقدم شواهدها ، مايحقق فلسفة قرآنية فحواها أن صراع الاستكبار والخط الرسالي ، صراع أزلي شغل اللحظة الأولى من لحظات الخلق ، وامتدّ فيها واستمر .

ثالثا: الصيغة السردية

تعد مقولة الصيغة السردية واحدة من اهم التقنيات السردية، واهم العناصر التي يقوم عليها الخطاب السردي والتي تكسبه بعده الخطابي، وأهمية الصيغة السردية في الخطاب الروائي مرده إلى ارتباطه بأشكال والخطابات المتباينة التي تشكل المتن الروائي. ومصطلح الصيغة، كما يؤكد **جيرار جينيت** مستعار من مجال النحو، ويستعمل للدلالة على أشكال الفعل المختلفة التي ينظر منها إلى الوجود او العمل [٢٩١].

ولا يبتعد هذا المفهوم كثيرا عن الاستعمال السردي، والذي يوظف هذا المصطلح للدلالة عن أشكال الخطاب المختلفة التي يشملها النص الروائي، وقد

---

[٢٩٠] التخييل القصصي: ٨٥.

[٢٩١] خطاب الحكاية (بحث في المنهج): ١٧٧.

اجمع النقاد على هيمنة صيغتين في الحكي، وهما: العرض، والحكي [٢٩٢]. وقد اشار تودوروف إلى نمطين في السرد يتقاسمان الحضور في النصوص السردية وهما: العرض والحكي، مؤكدا أن قص أحداث غير لفظية لا يلحقه تنوع في الصيغة على عكس قص الكلام الذي يأتي في أشكال متعددة. لأن الكلام يمكن أن يقحم في صور مختلفة [٢٩٣] .

ويذهب **جيرار جينيت** إلى الاتجاه ذاته عندما يقر بوجود نمطين من الحكي هما: حكي الأحداث ، وحكي الأقوال ويندرج تحت هاتين الصيغتين الأصليتين صيغ فرعية ثلاث:

- ❁ الخطاب المسرود أو المروي
- ❁ الخطاب المحمول بالأسلوب غير المباشر
- ❁ الخطاب المنقول

وينطلق سعيد يقطين في تصنيفه لأنواع صيغ الخطاب السردي من معيار مهم يتمثل في تبادل الأدوار الحكائية بين الراوي وشخصيته ويؤكد وجود صيغتين كبيرتين وهما السرد والعرض تنضوي تحت كل واحدة منها صيغا صغرى بسيطة او مركبة، ويحتل الخطاب المنقول مركزا وسطا بين الصيغتين [٢٩٤].

وفي خطاب الاستكبار توافر الحكي على هذه الانواع من الصيغ السردية كما سيشار إليها من خلال تجلي هذه الصيغ اسلوبيا لبيان الأثر الدلالي في سماتها الاسلوبية.

ففي قصة آدم يبدأ فيها الْخِطَاب (الحكي) بصيغة المعروض غير المباشر في تداخل صيغي يجمع بين المسرود والمعروض في صيغة واحدة موحدة، حيث يبدا الْخِطَاب بصيغة المسرود الموجه مباشرة من القائل عزّ وجل إلى محمد ﷺ من الآية ٦٧ وحتى الآية ٧٠ ﴿**قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ**﴾ حتى قوله تعالى ﴿ **أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ**

([٢٩٢]) ظ: نظرية الرواية: دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة: ١٣٣.

([٢٩٣]) ظ: الشعرية: ٤٠.

([٢٩٤]) ظ: تحليل الخطب الروائي: ١٩٧.

١٤- أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧٤هـ) ، تح: محمود محمد شاكر . دار المدني ، السعودية – جدة ، ط١٩٩١،١م.
١٥- الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة : عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي ، ط٣ ، ١٩٧٤.
١٦- أسس السيميائية : دانيال تشاندلر ، تر: طلال وهبة، المنظمة العربية للتر، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
١٧- أسس علم ٱللغة : ماريو باي، تر، أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، ط٢، ١٩٨٣.
١٨- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية : مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
١٩- الأسلوب والأسلوبية : بيير جيرو، تر ، منذر عياشي ، مركز الأنماء القومي، ط١، ١٩٨٥م.
٢٠- الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والادب الملتزم بالإسلام : د. عدنان النحوي، دار النحوي، ط١، ١٤١٩هـ.
٢١- الأسلوب والأسلوبية: عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، ط١، ١٣٩٧هـ .
٢٢- الأسلوبية بوصفها مناهج : رحمن غركان، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠١٤.
٢٣- الأسلوبية الرؤية والتطبيق : أ.د. يوسف أبو العدوس، دار المسيرة ط١، ١٤٢٧هـ .
٢٤- الأسلوبية في النقد العربي الحديث (دراسة في تحليل الخطاب) : فرحان بدري الحربي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.
٢٥- الإشارة الجمالية في المثل القرآني : عشتار داوود محمد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط،٢٠٠٥.
٢٦- الأصوات اللغوية : د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ، ط٥، ١٩٧٥م.
٢٧- أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم : الدكتور محمد حسين علي الصغير، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٨٦ م.
٢٨- أنوار التنزيل وأسرار التأويل : أبو الخير ناصرالدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت :٦٩١ هـ)، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٨ م.

٢٩- الإيضاح في علوم البلاغة : محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت : ٧٣٩هـ)، تح، محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل، بيروت، ط٣. (د . ت) .
٣٠- البرهان في علوم القرآن : أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) ن تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، مصر، ط١،١٩٥٧ م.
٣١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : الفيروز آبادي، مجد الدين محمد ابن يعقوب، (ت: ٨١٧هـ)، تح: محمد علي النجار، دار الحرية للطبع، القاهرة، ط١، ١٩٦٥م.
٣٢- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة : د. عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١٧، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥
٣٣- بلاغة الخطاب وعلم النص : د. صلاح فضل، المجلس الاعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٤١١٣هـ . ١٩٩٢م.
٣٤- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها : عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٦ م.
٣٥- البلاغة فنونها وأفنانها علم (البيان والبديع) : د. فضل حسن عباس، سلسلة بلاغتنا ولغتنا، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط١٠، ٢٠٠٥.
٣٦- البلاغة والأسلوبية : محمد عبد المطلب، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١ ،١٩٨٤ م.
٣٧- بنية النص السردي من منظور النقد الدبي : د. حميد الحمداني ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط٣ ،٢٠٠٠م.
٣٨- البيان في ضوء أساليب القرآن : عبد الفتاح لاشين، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٠م .
٣٩- بيان المعاني : عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت، ١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقي، دمشق، ط١، ١٩٦٥ م.
٤٠- البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م.
٤١- تاج العروس من جواهر القاموس : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت :١٢٠٥هـ) ، تح : عبد الستار أحمد فراج ، التراث العربي ، طبعة الكويت.

٤٢- تاريخ آداب العرب : مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٤٠م.
٤٣- تاريخ الفلسفة اليونانية : د. يوسف كرم، لجنة التأليف والتروالنشر، القاهرة، ط١، ١٩٣٦.
٤٤- التبيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، (ت : ٤٦٠ هـ)، تصحيح وتعليق: أحمد شوقي الأمين، وأحمد حبيب قصير العاملي، مكتبة الأمين، النجف الأشرف، ١٩٥٧م .
٤٥- تجديد التفكير الديني في الإسلام : محمد إقبال، تر :عباس محمود، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٥٥.
٤٦- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن : ابن أبي الاصبع المصري (ت ٦٥٤هـ)، تح : الدكتور حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ،ط١، ١٩٦٣م .
٤٧- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ط١، ١٩٨٤.
٤٨- تحليل الخطاب الروائي : (الزمن – السرد – التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط ٤، ٢٠٠٥.
٤٩- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية :عمر بلخير، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٣.
٥٠- التخييل القصصي: الشعرية المعاصرة،، شلوميت كنعان، تروتح : احسن أحمامة، التكوين للطباعة والنشر. ٢٠١٠.
٥١- تداولية الخطاب السردي : دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، محمود طلحة، تقديم مسعود صحراوي، عالم الكتب الحديث،الاردن ،ط١، ٢٠١٠.
٥٢- التداولية والحِجَاج مداخل ونصوص: صابر الحباشة، مركز صفحات للدراسات والنشر، سوريا، ط١، ٢٠٠٨.
٥٣- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف : عبد العظيم المنذري (ت: ٦٥٦هـ)، ، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٦٨م .
٥٤- التشابه والاختلاف (نحو منهاجية شمولية)م : حمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٦.
٥٥- التعبير الفني في القرآن : بكري شيخ امين، دار العلم للملايين، بيروت ط١، ٢٠٠٤.

٥٦- التعبير القرآني : د. فاضل صالح السامرائي، مطابع دار الكتب، جامعة الموصل، ط١، ١٩٨٧م.
٥٧- التعريفات : أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت ٨١٦هـ)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٦م.
٥٨- تفسير الجلالين : الإمامين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي(ت: ٩١١هـ)، دار الحديث، القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م .
٥٩- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) : محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت١٣٥٤هـ)، الهيأة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٠ م.
٦٠- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : د وهبة بن مطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، (د . ت).
٦١- التفسير الوسيط : د وهبة بن مطفى الزحيلي، دار الفكر . دمشق، ط١، ١٤٢٢ هـ.
٦٢- التفكير البلاغي عند العرب: أسسه و تطوره إلى القرن السادس الهجري، حمادي صمود،، تونس ، ط١، ١٩٨١.
٦٣- التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية : مختار عطية، دار الوفاء للنشر والطباعة، ط١ ، ٢٠٠٥م.
٦٤- تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي : يمنى العيد ، دار الفارابي ، بيروت، لبنان ،ط٢، ١٩٩٩م.
٦٥- التكرير بين المثير والتأثير: د. عز الدين علي السيد، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٦ .
٦٦- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : عبد الله بن عباس جمعه مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى،، دار الكتب العلمية، بيروت، (د . ت).
٦٧- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تح : عبد السلام محمد هارون، راجعه محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والتر، القاهرة ، ط١، ١٩٦٤م.
٦٨- التوقيف على مهمات التعاريف : زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت :١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٦٩- الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة: عبد الله ابراهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٩م.

٧٠- جامع البيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، وبهامشه غرائب القرآن ورغائب الفرقان: لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت : ٨٥٠هـ) ، دار الفكر، بيروت،١٩٧٨.
٧١- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري الملقب بدستور العلماء، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٢، ١٩٥٧م .
٧٢- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأناري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت، ٦٧١هـ) : تح : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط١، ١٩٦٤.
٧٣- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، بغداد، ط١، ١٩٨٠م.
٧٤- جمهرة اللغة : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت : ٣٢١هـ) : تح، رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
٧٥- الجنى الداني في حروف المعاني : حسن بن قاسم المرادي (ت :٧٤٩هـ)، تح: طه حسن، دار الكتب للطباعة والنشر، ط١، ١٩٧٦م.
٧٦- الحِجَاج في القرآن، د. عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٧٧- الحِجَاج في اللغة، أبو بكر العزاوي، العمدة للطبع، الدار البيضاء، ط١ ، ٢٠٠٦.
٧٨- الحِجَاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد و تقديم، حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتاب الحديث، إربد – الأردن، ط١، ٢٠١٠م.
٧٩- حسن التوسل إلى صناعة الترسل : شهاب الدين أبي الثناء محمود بن سليمان الحلبي الحنفي (ت: ٧٢٥هـ) ، المطبعة الوهبية ، مصر ،ط١، ١٢٩٨هـ.
٨٠- الحوار في القرآن الكريم: قواعده، أساليبه، معطياته، محمد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت، ط٥، ١٩٩٦م.
٨١- خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ط١، ١٩٨١ م.
٨٢- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، الدكتور محمد أبو موسى، دار التضامن، القاهرة، ط٢، ١٩٨٠م.
٨٣- الخطاب، سارة ميلز، تر، غريب اسكندر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠١٥.

٨٤- الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة الوظيفة والبنية والنمط، أحمد متوكل، منشورات الأختلاف، المغرب،ط١، ٢٠١٠.
٨٥- الخطاب والنص والمفهوم: العلاقة – السلطة، عبد الواسع الحميري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، ط١، ٢٠٠٨.
٨٦- دراسات اسلامية : سيد قطب، دار الشروق، مصر، ط ١١، ٢٠٠٦.
٨٧- دراسات في علوم القرآن: محمد بكر إسماعيل (ت: ١٤٢٦هـ) ، دار المنار، ط٢، ١٩٩٩.
٨٨- دراسة الصوت اللغوي : أحمد مختار عمر، مصر، عالم الكتب، ١٩٩٧.
٨٩- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت: ٤٧٤هـ)، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ، السعودية–جدة ، ط٣ ، ١٩٩٢.
٩٠- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٣م.
٩١- دليل الدراسات الأسلوبية : جوزيف ميشال شريم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،ط١، ١٩٨٤ م.
٩٢- دينامية النص، تنظير وإنجاز: محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ١٩٩٠.
٩٣- روائع قرآنية : دراسات في جماليات المكان السردي : عبد الله خضر حمد ، دار القلم للطباعة والنشر ، لبنان ، ط١ ، (د . ت).
٩٤- شرح الكافية، رضي الدين الاستربادي(ت:٦٨٦هـ) : تقديم د.اميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ١٩٨٨ م.
٩٥- شروح التلخيص على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني : العلامة سعد الدين التفتازاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه– مصر (د. ت)
٩٦- الشمسية في القواعد المنطقية : نجم الدين عمر بن علي القزويني المعروف بالكاتبي، تح د. محمد فضل الله، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨.
٩٧- الصاحبي في فقه اللغ العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها : أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٦هـ)، علق عليه ووضع حواشيه، أحمد حسن يسبع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
٩٨- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٤٠٠هـ)، تح أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م .
٩٩- الصورة البيانية في الموروث البلاغي : د. حسن طبل، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط ١ ، ٢٠٠٥م.

-١٠٠
١٠١- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : جابر عصفور، المركز الثقافي، لبنان، ط٣، ١٩٩٢.
١٠٢- الصورة الفنية في المثل القرآني : د. محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد للنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ١٩٨١م.
١٠٣- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلويّ (ت٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.
١٠٤- العربية وعلم اللغة الحديث، محمد محمد داوود : دار غريب للطباعة والنشر، عمان ط١، ٢٠٠١
١٠٥- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح – لبهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣هـ)، مطبعة البابي الحلبي، مصر، (د . ت).
١٠٦- علم الأسلوب : مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
١٠٧- علم الأصوات العربية : أ.د. محمد جواد الوري، منشورات جامعة القدس المفتوحة، فلسطين،ط١ ، ٢٠٠٧م
١٠٨- علم السرد (مدخل إلى نظرية السرد) : يان مانفريد ، تر : أماني أبو رحمة ، دار نينوى ، سوريا، ط١، ٢٠١١.
١٠٩- علم اللغة العام، كمال بشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، (د . ط ، ت).
١١٠- علم ٱللغة مقدمة للقارئ العربي : محمد السعران، ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط٢، ١٩٩٧م.
١١١- علم المعاني : عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، (د . ط ، ت).
١١٢- علم المعاني في الموروث البلاغي : د. حسن طبل، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط ١، ٢٠٠٤م.
١١٣- علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع) : أحمد بن مطفي المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١٤٢٢،٤هـ – ٢٠٠٢م
١١٤- علوم القرآن : محمد باقر الحكيم، ، مجمع الفكر الإسلامي، قم، ط٤، ١٤٢٥هـ.
١١٥- عن الذاتية في اللغة : إميل بنفنيست، ضمن كتاب لسانيات الخطاب (الأسلوبية والتلفظ والتداولية)، صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية – اللاذقية ، ط١،
١١٦- العوامل الحِجَاجية في اللغة العربية :عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، تونس ،ط١، ٢٠١١م.

١١٧- فتْحُ الْقَدِيرِ الْجَامِعُ بَيْنَ فَنَّيِ الرِّوَايَةِ وَالدِّرَايَةِ من التفسير : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٤٩ هـ
١١٨- الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري، ت: ٣٩٥هـ، حققه: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية . بيروت، ط١، ١٩٨١م .
١١٩- فقه اللغة وخصائص العربية : د.محمد مبارك، ، دار الفكر . بيروت، ط٦، ١٩٧٥م.
١٢٠- فلسفة البلاغة : إيفور آرمستروخ ريتشاردز، تر: حلاوي وسعيد الغانمي، إفريقيا الشرق، المغرب ، ط١،٢٠٠٢م.
١٢١- فن التشبيه : علي الجندي، ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ط٢،١٩٦٦.
١٢٢- في الأسلوب والأسلوبية: محمد بن سعيد اللويمي، مطابع الحميضي، الرياض ، ط١، ٢٠٠٥م.
١٢٣- في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية: د. محمد العمري، ، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ط٢، ٢٠٠٢م.
١٢٤- في تقنية الرواية بحث في تقنيات السرد : عبد الملك مرتاض ، عالم المعرفة ، الكويت ، ط١ ، ١٩٩٨.
١٢٥- فيزياء الدوريات والجسيميات: هشام جبر الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٩٤.
١٢٦- في ظلال القرآن: سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، ، بيروت، ط٧، ١٩٧١م.
١٢٧- في علم اللّغة: غازي مختار . ، دمشق، دار طلاس، ط ٢، ٢٠٠٠م.
١٢٨- في النحو العربي نقد وتوجيه : الدكتور مهدي المخزومي، المطبعة العصرية، بيروت ، ط١، ١٩٦٤م.
١٢٩- القاموس المحيط : محب الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧ : هـ)، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، (د . ط ، ت).
١٣٠- القاموس الموسوعي للتداولية : جاك موشلر وآن روبول، تر: مجموعة من الباحثين، دار المعز، تونس، ١٩٩٤.
١٣١- قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون : عبد السلام المسدي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٨١ م.
١٣٢- قراءة جديدة لتراثنا النقدي : تامر سلوم ، دار الحقائق، دمشق ، ط١،١٩٩٣م.
١٣٣- القرآن وعلم النفس : عبد الوهاب حمودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م .

١٣٤- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، د. أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، (د . ط ، ت).
١٣٥- الكتاب : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت:١٨٠هـ)، تح وشرح: عبد السلام محمد هارون، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٧٥.
١٣٦- كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري : تح : علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٧١م
١٣٧- كتاب العين : لابي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تح: د. مهدي المخزومي و د.ابراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد ،ط١، ١٩٨٠.
١٣٨- كشاف إصطلاحات الفنون : محمد علي الفاروقي التهانوي (ت : ١١٥٨هـ)، تح : د. لطفي عبد البديع، ترالنصوص: د. عبد النعيم محمد حسنين، الهيأة العامة للتأليف والنشر؛ دار الكتاب العربي ، مصر، ط١، ١٩٧٧م.
١٣٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت، ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
١٤٠- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، نصير الدين محمد بن حسن الطوسي، شرح: جمال الدين الحسن بن يوسف ابن علي بن المطهر المشتهر بالعلامة الحلي (ت٧٢٦)، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، (د .ط، ت).
١٤١- الكلمة في الرواية : مخائيل باختين : تر : يوسف حلاق ، منشورات وزارة الثقافة السورية، ط١ ، ١٩٨٨.
١٤٢- الكليات: معجم المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، (ت. ق: ١٠٩٤ = ١٦٨٣م)، قابله واعده للطبع ووضع حواشيه: د. عدنان درويش ود. محمد المصري، ، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٨م.
١٤٣- لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م،
١٤٤- لسانيات الخطاب (الأسلوبية والتلفظ والتداولية)، الذاتية في اللغة، إيميل بنفنيست؛ صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط١، ٢٠١٠.
١٤٥- لسانيات النص وتحليل الخطاب، لسانيات النص بين اللسانيات العربية واللسانيات الغربية الحديثة، خليفة الميساوي، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٣.
١٤٦- اللغة، جوزيف فندريس، تر: عبد الحميد الدواخلي ؛ محمد القاص، مكتبة الانجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة ، ١٩٥٠م.
١٤٧- ألّلغة بين القومية والعالمية : ابراهيم أنيس، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٧٠م.

١٤٨- اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، فاضل ثامر، المركز الثقافي العربي، لبنان،ط١، ١٩٩٤.
١٤٩- اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب، شكري عياد، ناشيونال بريس، د.م. ١٩٨٨م.
١٥٠- اللغة والخطاب، عمر أوكان، إفريقيا الشّرق، المغرب، د ط، ٢٠٠١
١٥١- مبادئ في علم الدلالة، رولان بارت، تر ، محمد البكري، دار قرطبة للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨١ م.
١٥٢- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة، ١٩٣٩م.
١٥٣- مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن (٥٤٨هـ)، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤١٥هـ . ١٩٩٥م
١٥٤- مجمل اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي (ت ٣٩٥هـ)، تح زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
١٥٥- محاسن التأويل : محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت، ١٣٣٢هـ)، تح، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، – ١٤١٨ هـ.
١٥٦- المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز : أبو محمد عبد الحق بن عطية الاندلسي، تح: عبدالله ابن إبراهيم الأنصاري والسيد عبدالعال السيد إبراهيم، ط٢، مؤسسة دار العلوم، قطر، ١٤١٢هـ- ١٩٨٢م
١٥٧- المحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تح : عبد الستار أحمد فراج، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م .
١٥٨- المحيط في اللغة، أبو القاسم إسماعيل بن عباد، تح : محمد حسين آل ياسين، بيروت، ١٩٩٤م
١٥٩- مختار الصحاح : زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت٦٦٦هـ) تح، يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م.
١٦٠- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م
١٦١- مدخل إلى القرآن الكريم : محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦

١٦٢- المدرسة القرآنية : اية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر (قدس سره)، مؤسسة الهدى الدولية للنشر والتوزيع، د.ن، د.م. (د . ت).
١٦٣- المصطلحات المفاتيح في اللسانيات : ماري نوال غاري بريور، تر، عبد القادر الشيباني، د.ن، الجزائر، ٢٠٠٧.
١٦٤- المطول شرح في تلخيص المفتاح في علوم البلاغة : سعد الدين التفتازاني،، تح، عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
١٦٥- معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تح: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي : عالم الكتب، بيروت، ط٢،١٩٨٠م .
١٦٦- معاني النحو : فاضل صالح السامرائي ، شركة العاتك للطبع والنشر، القاهرة،ط٢ ، ٢٠٠٣م .
١٦٧- معجم تحليل الخطاب : باتريك شاردو، ودومينيك منغنو، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، المركز الوطني للتر، تونس، د. ط، ٢٠٠٨.
١٦٨- معجم ديوان العرب : أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي (ت: ٣٥٠هـ) تح: دكتور أحمد مختار عمر مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣.
١٦٩- معجم السرديات : مجموعة من المؤلفين، إشراف، محمد القاضي، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، لبنان – تونس ، ط١، ٢٠١٠
١٧٠- المعجم الفلسفي : إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية، الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ط١،، ١٩٨٣ م.
١٧١- معجم اللسانيات الحديثة (إنجليزي – عربي) : سامي عياد حنا، كريم زكي حسام الدين، نجيب جريس، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون ، ط١ ، ١٩٩٧
١٧٢- معجم مقاييس اللغة : ابو الحسين أحمد بن فارس (ت:٣٩٥)، تح : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
١٧٣- المعنى في الدراسات البلاغية : د. مزاحم مطر حسين، دار تموز للطباعة والنشر سورية، دمشق ، ط١، ٢٠١٣
١٧٤- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين ابن هشام الأنصاري، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م
١٧٥- مفاتيح الغيب : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت، ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

١٧٦- مفتاح العلوم : أبو يعقوب السكاكي، تح أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة، بغداد، ١٩٨٢

١٧٧- المفردات في غريب القران : الراغب الأصفهاني(ت ٥٠٢هـ)، تح محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي القاهرة ،١٩٦١م.

١٧٨- مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القران الكريم: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، د.مصطفى أوعيشة، دار السلام، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.

١٧٩- مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو : الواوي بغورة، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت ،ط١، ٢٠٠٠.

١٨٠- مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية : محمد يحيى سلوم : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٦ .

١٨١- المقتضب : أبو العباس المبرد : (ت ٢٨٥ هـ)، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، د. ت

١٨٢- ملامح الفكر التاريخي في القرآن الكريم : محمود شاكر عبود الخفاجي، مؤسسة السيدة معصومة (ع)، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

١٨٣- من بلاغة القرآن: أحمد بدوي، دار نهضة مصر، القاهرة ، ط١، ١٩٥٠م.

١٨٤- من بلاغة النظم العربي دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د.عبد العزيز عبد المعطي عرفة ، عالم الكتب ،ط١، ١٩٨٤.

١٨٥- من تجليات الخطاب البلاغي : حمادي صمود، دار قرطاج للنشروالتوزيع، تونس ،ط١، ١٩٩٩.

١٨٦- منتهى السول في علم الأصول ويليه تحصيل المأمول في علم الأصول مختصر إرشاد الفحول : علي بن محمد الآمدي سيف الدين أبو الحسن، تح أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٣.

١٨٧- الموافقات في أصول الأحكام : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، علق عليه محمد حسنين، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، دار ابن عفان، د.م.، ١٩٩٧.

١٨٨- موسوعة لالاند الفلسفية : أندريه لا لاند، تعريب خليل احمد خليل، ، منشورات عويدات، بيروت ، ط٢، ٢٠٠١.

١٨٩- موقف النقد التراثي العربي من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية : تمام حسان، النادي الأدبي والثقافي، جدة، ١٩٨٨م

١٩٠- الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطبطبائي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت ، ط٢،١٩٧٤م

١٩١- ميشيل فوكو: حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ، ط١، ١٩٨٦م.

١٩٢- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم : محمد بن عبد الله دراز (ت١٣٧٧هـ)اعتنى به، أحمد مصطفى فضلية، قدم له، أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، د.م، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٩٣- النص الأدبي وتعدد القراءات : بشير إبرير، جامعة ورقلة، الجزائر،ط١، ٢٠٠٦.

١٩٤- نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي : علي يونس، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،ط١، ١٩٩٣.

١٩٥- نظرية الأدب : أوستن وارين ورينيه ويلك، تر: محي الدين صبحي؛ حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧.

١٩٦- النظرية البنائية في النقد الادبي : د. صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، ط١ ، ١٩٩٨.

١٩٧- نظرية البيان العربي: خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي، د. رحمن غركان، دار الرائي للدراسات والتروالنشر، دمشق، ط١ ،٢٠٠٨.

١٩٨- نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، احمد عبد الفتاح الخالدي، ، دار الفرقان، الأردن، ط١، ١٩٨٣.

١٩٩- النظرية الحِجَاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، دار الناشر للثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥.

٢٠٠- نظرية السلطة في القران الكريم (الاستكبار والتمكين)، سعيد الشبلي، مكتبة حسن العرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

٢٠١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت، ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، .(د . ت).

٢٠٢- نفائس التأويل، الشريف المرتضى علي بن الحسين، أشراف السيد مجتبى احمد الموسوي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (د . ت).

٢٠٣- النقد الاجتماعي : بيير زيما : تر: عايدة لطفي ، دار الفكر للدرسات والنشر والتوزيع ، القاهرة، (د. ت، ط)

٢٠٤- النقد الأدبي الحديث أسسه الجمالية ومناهجه المعاصرة رؤية إسلامية، أ.د. سعد أبو الرضا، ط٢، ١٤٢٨هـ
٢٠٥- النكت في إعجاز القران، علي بن عيسى الرماني (٣٨٦هـ) ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح. محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط٥، ٢٠٠٨م.
٢٠٦- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي (ت : ٦٠٦هـ)، مطبعة الآداب والمؤيد، القاهرة ،١٣٨٦هـ.
٢٠٧- الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط١، (د . ت).
٢٠٨- الوصائل في تحليل المحادثة، دراسة في استراتيجيات الخطاب، د. خليفة ميساوي، عالم الكتب الحديث، د.م، ٢٠١٢.

ثالثاً: الدوريات:

١- أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغيّة لعلم المعاني : د. مزاحم مطر حسين ، مجلة القادسيّة في الآداب والعلوم التربوية، مج ٦،ع٣-٤، ٢٠٠٧،٣٩.
٢- الاستدلال الحِجَاجي التداولي وآليات اشتغاله، ابراهيم امغار، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج٤٠، ع٢، ٢٠١١.
٣- الاستعارة الحِجَاجية بين أرسطو وشايم بيرلمان، محمد الولي، مجلة علامات في النقد، المملكة العربية السعودية، ع٥، ١٩٩٥.
٤- الأسلوبية الصوتية بين النظرية والتطبيق، ماهر مهدي هلال، مجلة آفاق عربية، بغداد، السنة السابعة عشرة، كانون الأول، ١٩٩٢ م.
٥- الأسلوبية والنقد الأدبي، عبد السلام المسدي، مجلة الثقافة الأجنبية، دار الجاحظ، بغداد، ع١٩٨٧،١.
٦- البنية الحِجَاجية في القرآن الكريم، الحواس المسعودي، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع ١٢ ،١٩٩٧.
٧- البيان الحِجَاجي في إعجاز القران الكريم، سورة الانبياء انموذجا، مجلة التراث العربي، ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع١٥٢، ٢٦/ نيسان، ٢٠٠٦، ربيع الثاني، ١٤٢٧ هـ.

٨- بيان اعجاز القرآن : ابو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي (ت : ٣٨٨هـ)، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح. محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط٥، ٢٠٠٨م.
٩- تداولية الاستعارة الحِجَاجية لنص الرثاء (مرثية متمم بن نويرة -انموذجا -)، أ. وشن دلال، أ. لحمادي فطومة، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، ع٥، مارس ٢٠٠٩.
١٠- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: الرماني ، الخطابي ، الجرجاني ، تح. محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط٥، ٢٠٠٨م.
١١- الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، د. كاصد ياسر الزيدي، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، ع٩، ١٩٧٨م.
١٢- حجاجية القصص القراني، قصة نوح انموذجا، عبد الزهرة اسماعيل آل سالم، الجامعة المستنصرية، مجلة الآداب، ع ١٠٧، ٢٠٠٧.
١٣- خصائص السرد القصصي في القرآن الكريم : محمد مشرف يوسف خضر ، مجلة حراء الألكترونية ، ع ٦ ، يناير- مارس ،٢٠٠٧م .
١٤- الدراسة الإحصائية للأسلوب، سعد مصلوح، بحث في المفهوم والإجراء والوظيفة، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج٢٠، ع٣، ١٩٨٩ م.
١٥- الدلالة القصدية من ظاهرة التكرار في القرآن، سكينة عزيز عباس الفتلي، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مج ٢٣، ع٣،٢٠١٥
١٦- السفسطات في المنطقيات المعاصرة، التوجه التداولي الجدلي، مجلة عالم الفكر، مج٣٩، ع٢، ٢٠٠٨
١٧- السيمياء وفلسفة اللغة، أمبيرتو إيكو، عرض، أنطوان أبو زيد، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، ع٥، ١٩٨٩م
١٨- المغالطات في ردود منكري الرسالات في القرآن الكريم، أيمن خميس أبو مصطفى، مجلة سياقات، الجزائر، مج٢، ع٥، ٢٠١٧.
١٩- من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، محمد السيد سليمان العبد، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ، مج ٩ ، ع ٣٦، ١٩٨٦
٢٠- النص الحِجَاجي العربي، دراسة في وسائل الاقناع، محمد العبد، مجلة فصول، الهيأة المصرية العامة للكتّاب ، مصر، ع ٦٠، ٢٠٠٢ م.
٢١- نظريات الحِجَاج: قراءة في نظريات معاصرة، الدكتور جميل حمداوي، مجلة المنهاج، ع٧٠،٢٠١٤.

٢٢- نماذج من الاستفهام التقريري عند ابن عاشور في كتابه التحرير والتنوير، دراسة تحليلية، م. م. الحان صالح مهدي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، بغداد ،مج٥، ع١٠، ٢٠١٠م.

رابعاً: الرسائل الجامعية

١-البنى الأسلوبية في تفسير قصار السور من خلال جهود المحدثين، عامر مهدي صالح العلواني، (رسالة ماجستير)، كلية التربية، جامعة الانبار، ١٩٩٩م.

٢-تداوليات الحِجَاج في مناظرات العصر العباسي، إيمان شعبان، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب، جامعة المنوفية. (د . ت).

٣-التكرار اللفظي: انواعه ودلالاته قديما وحديثا، صميم كريم الياس، (رسالة ماجستير)، جامعة بغداد، كلية التربية، ١٩٨٨.

٤-الحِجَاج والمغالطة، دراسة تداولية في سورة الفرقان، جدي إيمان، روابحي أحلام، (رسالة ماجستير)، جامعة العربي التبسي ، تبسة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، (د . ت).

٥-الخطاب الحِجَاجي أنواعه وخصائصه، دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي، هاجر مدقن، (رسالة ماجستير)، جامعة ورقلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٣م.

٦-الخطاب القصصي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة يوسف، مها حسبو محمد الحاج، (أطروحة دكتوراه)، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠٠٨.

المحتويات

الآية القرآنية ..... أ

الاهداء ..... ب

الشكر والتقدير ..... ت

المحتويات ..... ث

المقدمة ١

التمهيد ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

الْخِطَاب ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

الاسْلُوْبِيّة ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

أولاً: الاسْلُوْبِيّة في الدراسات المعاصرة.. خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

ثانياً: الخطاب والأسلوبية ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

الاسْتِكبَار ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

الفصل الأول: الاستكبار في القرآن الكريم: المصطلح

والانماط ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

المبحث الأول: المصطلح والمصطلح المجاورخطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة

المبحث الثاني: أنماط الْخِطَاب ٦

أولا: النمط المباشر وغير المباشر: ٩

ثانياً: النّمَط الثنائي والجماعي: ١٣

الفصل الثاني: المستوى الاسلوبي الصوتي ١٩

المبحث الأوّل: المستويات الدّاخلية ١٩

أولا : التّكرار : ١٩

ثانيا : الجِنَاس : ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

المبحث الثاني: المستويات الخارجية **.....٥٠**

أولاً: الفاصلة القرآنية..... ٥٠

ثانيا : التنغيم : ٥٩

الفصل الثالث: المستوى الاسلوبي التركيبي ٦٦

المبحث ألأول: الاساليب التركيبية ٦٦

الفصل الرابع: المستوى الاسلوبي الدلاليخطأ! الإشارة المرجعية غير معرّف

المبحث الاول: الْخِطَاب الحِجَاجي ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

أولا: دلالة الأساليب البَلاغيّة: ٧٨

ثانيا: دلالة الأساليب اللّغوية: ٩١

ثالثا: دلالة الأساليب المغالطية: ١٠٤

المبحث الثاني: الْخِطَاب القصصي **..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**

أولا : الرؤية (منظور الخطاب) : ١١٤

ثانيا: الزمن ١١٨

ثالثا: الصيغة السردية ١٢٤

نتائج البحث ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.
المصادر والمراجع ١٢٨
Abstract ..... a

Abstract

The speech of arrogance is one of the two important types tackled in the holy book، Al-Quran when dealing with belief and disbelief. The first one is the speech of messaging mixed with the speech of weakening while the second is the speech of disbelief mixed with the speech of arrogance. Between the two types is an existent struggle in which each one tries to end the another.

The topic of arrogance in Al-Quran raises many questions that deal with the answers concerning the arrogance، its motives، types and style. These questions are under the study in the current work in order to understand the arrogance through the holy book that raises this point and how the powers of the arrogance have means and systemized ways to face the speech of messaging? And how the holy book displays the ways، especially the style? The holy book reveals the speech of arrogance is issued from a similar system for the arrogant because of the similarity in the psychological and thinking system for them

Depending on that، the current study focuses on this kind of Quranic speeches because it has not been studied before as we know; the arrogance has not been studied in the holy book as a speech and has not been given importance by the studies that deal with the style of the Quranic text. Therefore، the library of the Arabic books that deals with the Quranic studies lacks sources that are about the speech of arrogance. So، this study is prior to the studies that are about the arrogance of speech.

the speech of arrogance is studied stylistically. The study has two parts: the first part studies the arrogance as a Quranic concept. The study sheds light on the external properties that surround the speech and show to the addressee how it is reported and the way of employing it in the holy book as well. It reveals the effect of external circumstances in producing the stylistic pattern of the speech of arrogance by referring to the surrounded terms to it taking into consideration its stylistic effect.

The second part، which is according to the methodology of the study، deals with the stylistic analysis of the speech of arrogance through following the internal properties of the speech and analyzes it according to the levels of the stylistic methodology that deals with the study of the web of the internal relationships that form the speech and analyze it. So، the study makes stylistic closeness in accordance with the topic of the study and does not follow a specific stylistic methodology but making stylistic closeness in accordance with the topic of the study. Depending on these two parts، the plan of the study is divided into four chapters in addition to، introduction، conclusions، bibliography and references.

The introduction includes approach in the concepts of the study (speech، arrogance، stylistics). The first chapter deals with the terminology and the types of the speech. This chapter represents the first step in the study that tackles the external properties that surround the speech of arrogance and the external circumstances that

affect in making the stylistic way of the speech of arrogance by studying the neighbouring terms to it and the stylistic ways by which the speech is recognized. The chapter has two parts: the first part deals with the study of the terminology of the arrogance and the closest terminologies to it in the holy book. Two terms (coalescent and different) from the book are close to it. The first part studies the term coalescent such as elevation، insolence، oppression and pride while the second part of the study deals with the term different such as vulnerability، submission and surrender.

The second part deals with the patterns of the speech of arrogance. This part shows these patterns. The speech of arrogance consists of two main patterns: the first one is identified according to the scale the way of participation in the speech which is the direct and indirect pattern. The second pattern، which is bilateral and collective، is identified according to the scale the kind of participation in the speech.

The second chapter deals with the levels of stylistics which is the phonetic level. The stylistic phonetic levels in the speech of arrogance are divided into two parts: the first one is repetition and the second is Quranic interval . The first part shows that the speech of arrogance as far its phonetic level is concerned takes its importance in the repetition through the nature of the repetitive sounds in the verses that have similar and repetitive context. The second part shows that the Quranic interval has apparent effect in making the phonetic component of the Quranic verses because of the accurate organization of the sounds and its harmony that shows its meaning in a good way. In addition، a phonetic style of the interval، which has variations (short and medium intervals)، is given because the speech fits the intervals.

The third chapter tackles the structural level which consists of two parts: the first is about the constructive methods of the speech of arrogance. This part is divided into three ways that master the speeches of the arrogant because it meets the speakers' intentions in the state of arrogance clearly، which are order، question، and vocative. The first level is oppressive، which is relating the methods with the speeches of the arrogant. The second part deals with the structural displacement that is represented in the presentation and delay duality and deletion and mention duality as well.

The fourth chapter deals with the semantic level which reveals the semantics of the speech of arrogance according the methods that are followed by the arrogant. This chapter is also of two parts: the first one is the argumentative method which is found in the rhetorical styles that are employed in the declarative side through the simile، metaphor and metonymy. The second part sheds light on the semantics of the fictional speech. The style of the speech of arrogance is fictional revealing the semantics of arrogance by depending on the analytical style of the fictional speech that is done by analyzing the form and time of the speech and what it has as well. Finally، the conclusions that the study has arrived are presented.

Thus، the chapters and parts show the stylistic levels that shed light on the most important phenomena of stylistics that is included in the speech of arrogance in the Quran، therefore، this stylistic methodology achieves a comprehensive study of the speech of arrogance in the Quran.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق بالوطنية ٤٧١٧ - ٢٠١٨/٠٠٠٠ لسنة ٢٠١٨/٠٠٠٠